روايات عالمية للجيب 72

قطار الجحيم



تأليـــــف : روبـرت بلـوخ

ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق

المؤلف



هذا هو الجزء الثانى من مجموعة قصص قصــيرة مرعبــة للأديب الأمريكى روبرت بلوخ . لمن لم يقرءوا الجزء الأول نعيد نشر هذه السطور عن المؤلف :

(روبرت بلوخ Bloch) من أهم كتاب الرعب المعاصرين ، وله إسهامات لا حصر لها ، لكن يظل أهم عمل له هو (سايكو) .

ولد (بلوخ) عام 1917 فى شيكاغو بأمريكا . نعرف أنه كان مولعًا بشدة بأفــلام الرعب فى طفــولته ، ثم ككتاب أمريكيين كثيرين تأثر بمجلة (حكايات غريبة Weird tales) التى كان يكتب فيها أدباء فائقو الموهبة مثل (لافكرافت) . وقد تبادل المراسلات مع الرجل الأسطورة ، وهو الذى نصحه بأن يجرب كتابة القصة القصيرة . إنه ميراث الموهبة الذى لا ينتهى وينتقل من جيل لجيل . والواقع أن صداقة جميلة جمعت الأستاذ والتلميذ ، وكتب كل منهما قصصًا استخدم فيها اسم الآخر ، حتى إن لافكرافت كتب له تفويضًا يسمح له بأن يقتله فى أية قصة يشاء !

فى سن السابعة عشر باع (بلوخ) أولى قصصه (السر فى المقبرة) لذات المجلة .

بدأ الفتى يكسب عيشـه عـن طـريق الكتابة وتزوج . وفى العام 1947 صدرت روايتـه الأولى (الوشاح) ، وهى دراسة لعقل سفاح يهوى قتل النسـاء . ويقـال إن السفاح الوحيد والمريض نفسـيًّا سـوف يصيران علامتين مميزتين على أدب بلوخ .

كان نجاحه محدودًا وقلقه على المستقبل عظيمًا ، لكن العام 1959 شهد مولد روايته التى ارتبطت باسمه للأبد (سايكو) . وقد استلهم القصة من حكاية سفاح حقيقى شهير جدًّا ارتبط بوالدته بشكل مرضى لدرجة تحنيطها بعد موتها ، وهو السفاح (إد جين) . الواقع أن (إد جين) جلب الكثير من الخير لكتاب الرعب فى كل مكان ، وقد استلهم كثيرون قصته لعل آخرهم (توماس هاريس) فى شخصية (هانيبـال لكتـر) الشهيرة .

وعندما باع بلوخ القصة لشركة هوليوودية ، لم يكن يعرف أن المشترى هو هتشكوك . ومن الغريب أن الشركة لم تحاول الاتصال به أو عرض كتابة السيناريو عليه .

عام 1959 نال جائزة محترمة جدًّا هى جائزة (هوجو) عن قصته القصيرة (ذلك القطار الجحيمى) . وتلقى دعوة لهوليوود ليكتب سيناريو حلقات بوليسية تلفزيونية ، ثم حلقات مسلسل الرعب الشهير (ألفريد هتشكوك يقدم) . وقد قدم عدة مجموعات قصصية لم يخل غلاف واحدة منها من عبارة (مؤلف نفوس معقدة) .

من ضمن روايات بلوخ الشهيرة :

- الخاطف 1954
- تلك الأرض المزدحمة 1958
- الأريكة 1962

ـ الهلع 1962

ـ كله فى عقلك 1971

ـ هناك أفعوان فى عدن 1979

ـ ليلة السفاح 1984

ـ تركة جيكل 1991

أما عن مجموعات القصص القصيرة فمنها :

ـ الرعب فى الليل 1958

ـ الدم يجرى باردًا 1961

ـ كوابيس أكثر 1961

ـ جمجمة الماركيز دى ساد .

ـ أفضل ما كتب بلوخ 1977

مات بلوخ عام 1994 فى لوس أنجيليس . وقد أحرق ودفن رماده هناك . فى هذا الكتيب والكتيب السابق له ، نقابل بعضًا

من قصصه القصيرة ، وهى مختارة بشكل عشوائى ، أى أنها لا تمثل مجموعة قصصية معينة له ، لكنها جميعًا ممتعة ، وقد رأيت بعضها فى فيلم الرعب (حديقة التعذيب ـ 1967) الذى كتب له بلوخ السيناريو وأنتجته شركة أميكوس البريطانية .

د. أحمد خالد

قطـار الجحيم(*)

(*) اسمها الأصلى (ذلك القطار المرتبط بالجحيم) أو (ذلك القطار الجحيمى) ، لكن العنوان الحالى أقرب للأذن العربية .

عندما كان مارتن صبيًّا كان أبوه رجل سكة حديدية . لم يكن أبوه يركب القطار ، بل كان يفحص القضبان لشركة CB&Q وكان فخورًا بمهنته . وفى كل ليلة عندما يثمل كان يغنى أغنية (قطار الجحيم) .

لا يذكر مارتن أية كلمات لكنه لم ينس كيف كان أبوه يغنيها . وعندما أخطأ أبوه وشرب الخمر عصرًا فانسحق بين عربة بنسى وعربة AT&SF ، فإن مارتن تساءل لماذا لم تقم النقابة بغناء هذه الأغنية فى جنازة أبيه .

بعد هذا لم تسر الأمور كما يرام بالنسبة لمارتين ، لكنه ظل يذكر أغنية أبيه . عندما فرت الأم مع مندوب مبيعات من كيوكك ، راح مارتن يدندن اللحن لنفسه كل ليلة فى بيت الأيتام . وبعد ما هرب هو نفسه كان يصفر الأغنية بنعومة فى الليل فى الغابات بعد ما ينام المتشردون الفارون معه .

ظل مارتين فى الطرقات أربعة أو خمسة أعوام قبل أنه يدرك أنه لم يصل لأى مكان .. لقد جرب أعمالًا كثيرة . جمع الفاكهة فى أوريجـــون وغســـل الصـــحون فى مونتانا وسرق طاسات

السيارات فى دنفر والإطارات فى أوكلاهوما ، لكنه أدرك أنه لا يوجد مستقبل فى حياة الضياع هذه .

حاول أن يعمل فى السكة الحديد مثل أبيه ، لكنهم قالوا له إن هذه أوقات عصيبة . لم يقو على الابتعاد عن السكك الحديدية .. كلما سافر سافر بها ، وكان يفضل ركوب قطار بضاعة فى درجة حرارة صفر على أن يستوقف سيارة كاديلاك تتجه لفلوريدا . وكان يجلس فى القطار يدندن أغنية (قطار الجحيم) .. كان هذا هو القطار الذى يركبه السكارى والخطاة .. المقامرون والمحتالون والمتحرشون بالنساء وكل (شلة الأنس) .

من الطريف أن تقوم برحلة مع مجموعة لطيفة كهذه ، لكن مارتن لم يرد أن يفكر فى لحظة توقف القطار فى مستودع فى جهنم ، ولا قضاء دهر يملأ الغلايات فى الجحيم من دون اتحاد يحميه . برغم هذا كانت رحلة طيبة . لو كان هناك شىء اسمه قطار الجحيم .. بالطبع لا يوجد شىء كهذا.

على الأقل لم يحسب أن هناك شيئًا كهذا ، حتى وجد نفسه ذات ليلة يعبر القضبان قاصدًا الجنوب خارج محطة (أبلتون) . كان الليل باردًا مظلمًا فهكذا تكون ليالى نوفمبر فى وادى (نهر

الثعالب) . كان يقصد تكساس ولم يكن راغبًا جدًا فى ذلك ، برغم أنه سمع أن معظم السيارات هناك لها طاسات من ذهب .

لم يكن قط كف عن السرقة ، وكانت أسوأ من الخطيئة ذاتها لأنها لا تجلب ربحًا كذلك . من المؤسف أن تقوم بعمل الشيطان ثم تنال أجرًا بائسًا عن ذلك ! والحقيقة أنه بدأ يفكر فى الانضمام لجيش الخلاص .

مشى وهو يدندن لحن أبيه منتظرًا سماع صوت قطار آتيًا من المحطة .. سيكون عليه التعلق به فليس أمامه شىء آخر . لكن أول قطار جاء كان من الاتجاه المعاكس .

انحنى مارتين لكن عينيه لم تريا ما سمعته أذناه . كل ما تبينه هو الصوت .. كان قطارًا بالتأكيد وقد شعر بالصلب يهتز تحت قدميه .

لكن كيف ؟.. أول محطة للجنوب هى (نيناه ميناشا) وليست هناك قطارات متوقعة خلال ساعات .

كانت السحب كثيفة أمامه والضباب كأنه ليلة مظلمة باردة فى نوفمبر . برغم هذا كان من المفترض أن يرى ضوء المقدمة فى القطار القادم ، لكن لم يكن هناك إلا الصفارة تعوى فى حلق الليل

الأسود . كان بوسعه أن يعرف نوعية أية مركبة تم اختراعها لكنه لم يسمع صفارة كهذه .. كانت نوعًا من الصراخ كأنها روح ضائعة .

خطا للجانب لأن القطار صار على بعد خطوات ، وفجأة رآه .. بسرعة وفى وقت أقل مما حسبه ممكنًا .

كانت العجلات تصرخ بدورها .. تصرخ كأرواح الملاعين . لكن القطار توقف وتلاشت الصرخات . وبدأت أصوات أنين خفيضة . أدرك مارتن عندما رفع عينيه أن هذا قطار مسافرين . كان كبيرًا أسود بلا ضوء واحد من المقطورة أو العربات . لم ير أية كتابة على الجوانب لكنه كان متأكدًا من أن القطار لا ينتمى للسكك الحديدية الشمال غربية .

تأكد أكثر عندما رأى الرجل يهبط من العربة فى المقدمة . كان هناك شىء خطأ فى طريقة مشيه كأنه يجر قدمًا .. كذلك فى الفانوس الذى يحمله . كان الفانوس مظلمًا هنا رفعه الرجل لفمه ونفخ .. على الفـــور توهج الفانوس . لا يجب أن تكون عاملاً بالسكك الحديدية كى تعرف أن هذه طريقة غريبة لإيقاد الفانوس .

إذ دنا منه رأى مارتن كاب محصل التذاكر على رأسه وجعله هذا يشعر بتحسن . ثم لاحظ أنه أعلى من اللازم كأن هناك شيئًا على الجبهة تحته .

عندما ابتسم له الرجل قال :

ـ « مساء الخير يا سيدى المحصل .. »

ـ « مساء الخير يا مارتن .. »

ـ « كيف تعرف اسمى ؟.. »

هز الرجل كتفه وقال :

ـ « وكيف عرفت أنت أننى محصل ؟.. »

ـ « أنت كذلك .. أليس كذلك ؟.. »

ـ « لك أنت .. بلى .. برغم أن الناس فى أماكن أخرى يعرفوننى فى أدوار مختلفة .. مثلاً يجب أن ترى كيف أبدو للعاملين فى هوليوود .. »

وضحك ضحكة عريضة وقال :

ـ « أنا أسافر كثيرًا .. »



سأله مارتن :

ـ « ومن جاء بك هنا ؟.. »

ـ « لابد أنك تعرف الإجابة يا مارتن .. جئت لأننى أريدك .. الليلة أدركت أنك بدأت ترتد . تفكر فى الانضمام لجيش الخلاص .. أليس كذلك ؟.. »

قال مارتن فى تردد :

ـ « بلى .. »

ـ « لا تخجل .. الخوف شيء آدمى كما قال أحدهم فى مكان ما .. ربما فى مجلة ريدرز دايجست . لا يهم .. شعرت بأنك بحاجة لى لذا غيرت اتجاه القطار وجئت .. »

ـ « لم ؟.. »

ـ « لأدعوك للركوب طبعًا .. أليس من الأفضل أن تركب قطارًا مريحًا بدلاً من المشى فى شوارع باردة مع فرقة من فرق جيش الخلاص ؟.. هذا يتعب القدمين ويتعب الأذنين أكثر .. »

قال مارتين :

ـ « لست راغبًا فى ركوب القطار يا سيدى .. »

ـ « أه .. » ـ وتنهد المحصل وقال ـ .. « المشكلة القديمة .. أعتقد أنك تريد صفقة ما .. »

ـ « بالضبط .. »

ـ « يؤسفنى أننى لم أعد أمارس هذه الأشياء .. لم أعد أعانى نقصًا فى المسافرين المتطلعين للمستقبل . فلم أقدم لك عرضًا خاصًا ؟.. »

ـ « لأنك تريدنى ، وإلا لما غيرت طريقك لتجدنى .. »

تنهد المحصل من جديد . وقال :

ـ « فى هذا معك حق .. الغرور كان دومًا من نقاط ضعفى .. وأخشى أن أفقدك للمنافسين بعد ما فكرت فيك كل هذه الأعوام باعتبارك ملكى . نعم .. أقبل التعاون معك بشروطك .. »

سأل مارتين :

ـ « شروط ؟.. »

ـ « الطريقة المعتادة .. لكن أنذرك أنه لن تكون هناك حيل .. سأضمن لك أية أمنية تفكر فيها لكن بالمقابل ستعدنى بأن تركب القطار عندما يأتى الوقت .. »

ـ « وماذا لو لم يأت ؟.. »

ـ « سيأتى .. »

ـ « لنفترض أننى وجدت أمنية تتيح لى البقاء للأبد .. »

ـ « لا توجد أمنية كهذه .. لا يهم ما تفكر فيه لكنى سأفوز بك فى النهاية ، ولن يكون هناك نصب فى الساعة الأخيرة .. لا توبة فى آخر ساعة ولا شقراء جميلة أو محام بارع ينقذك . أنا أطلب صفقة نظيفة .. ستنال ما تريد وأنا أنال ما أريد .. »

ـ « سمعت أنك تخدع الناس ، وأنك أسوأ من تاجر سيارات مستعملة .. »

ـ « موافق .. من الناحية الأخرى أنت تحسب أنك وجدت طريقة للفرار .. »

ـ « طريقة أكيدة .. »

اهتز الشيطان ضحكًا وقال :

ـ « طريقة أكيدة ؟.. مضحك .. »

ثم توقف وقال :

ـ « نحن نضيع وقتا ثمينًا .. دعنا نكن جادين .. ماذا تريد منى يا مارتن ؟.. »

أخذ مارتن شهيقًا عميقًا ثم قال :

ـ « أريد أن أملك القدرة على إيقاف الزمن.. .. »

ـ « الآن ؟.. »

ـ « لا .. ليس بعد .. أريد أن أوقف الزمن متى أردت . مرة واحدة فى المستقبل . عندما أبلغ لحظة أعرف فيها أننى سعيد راض سوف أوقف الزمن . بهذا أظل سعيدًا للأبد .. »

فكر المحصل :

ـ « هذا اقتراح ممتاز .. يجب أن أعترف بأننى لم أسمع اقتراحًا كهذا من قبل . أنت كنت تفكر فى هذا من فترة .. أليس كذلك ؟.. »

ـ « منذ أعوام .. ما رأيك ؟.. »

ـ « ليس مستحيلاً.. يمكن أن نوقف إحساسك بالزمن .. يمكن ترتيب هذا .. »

ـ « لكنى أريد أن يتوقف الزمن فعلاً.. لا أريد أن أتخيل .. »

ـ « أفهم .. وهذا ممكن .. »

ـ « إذن ستوافق ؟.. »

ـ « ولم لا ؟.. أنا قد وعدت .. هات يدك .. »

تردد مارتن وقال :

ـ « هل هذا يؤلم ؟؟.. أعنى أننى لا أحب مرأى الدم و.. .. »

ـ « هراء .. أنت سمعت الكثير من الهراء !.. لقد تمت الصفقة يا بنى . أريد أن أزرع شيئًا فى يدك . طريقة تحقيق رغبتك . لا أعرف متى ستقرر أن تحصل على رغبتك وأنا لن أترك مسئولياتى وقتها وألحق بك جريًا . سوف أعطيك القدرة على التنفيذ .. »

ـ « إذن ستعطينى جهازًا لإيقاف الزمن ؟.. »

ـ « هذه هى الفكرة العامة .. خذ ساعتى .. »

وأخرجها من جيب الصديرى .. كانت ساعة سكة حديدية لها علبة فضية . فتح ظهرها وضبطها . حاول مارتن أن يعرف ما يقوم به لكن سرعة حركة الأصابع جعلتها كالضباب .

قال المحصل :

ـ « هأنتذا .. إنها مضبوطة .. عندما تقرر أن توقف الزمن ، فما عليك إلا أن تدير العقارب بالعكس حتى تتوقف الساعة . عندما تتوقف يتوقف الزمن لك . هل هذا سهل ؟.. »

ثم وضع الساعة فى كف مارتن .

قال الفتى وهو يمسك بالساعة :

ـ « وهذا كل شىء ؟.. »

ـ « قطعًا .. لكن تذكر . يمكنك وقفها مرة واحدة . لذا تأكد من أنك فعلاً سعيد باللحظة التى تتمنى أن تدوم . أحذرك أن تتأكد من خيارك .. »

ـ « سأفعل ، وبما أنك أمين بهذا الصدد سأكون أمينًا كذلك . هناك شىء يبدو أنك نسيته .. معنى أن أوقف الزمن هو أن أظل

حيث أنا .. لن أشيخ أبدًا . ولو لم أشخ فلن أموت .. ولو لم أمت فلن أضطر لركوب قطارك .. »

استدار المحصل وراح كتفاه يهتزان فى عصبية ، وكأنه يبكى .. ثم قال بصوت مختنق :

ـ « وتزعم أننى أسوأ من بائع سيارات مستعملة .. .. »

ثم ابتعد وسط الضباب ودوت صفارة نافدة الصبر من القطار . وسرعان ما راح يهدر مبتعدًا فى الظلام .

وقف مارتن هناك يحدق فى الساعة فى يده . لو لم يكن بوسعه أن يراها ويلمسها ، ولو لم يكن بوسعه أن يشم هذه الرائحة الخاصة ، لحسب أنه تخيل كل شىء . القطار والمحصل والصفقة وكل شىء .

معه الساعة ويمكنه شم الرائحة التى تخلفت من القطار ، وعلى الأقل لا توجد مركبات كثيرة فى الجوار تستعمل الكبريت كوقود.

لم تكن لديه شكوك فى الصفقة . بعض الحمقى يطلبون الثراء أو القوة أو (كيم نوفاك) . ربما طلب أبوه كأس ويسكى .

لكنه كان يعرف أنه أجرى صفقة ذكية . لا يوجد فيها خطأ واحد . كل ما عليه هو أن يختار اللحظة المناسبة بعناية .

وضع الساعة فى جيبه ، وعاد لطريق السكة الحديد . لم تكن له وجهة فى ذهنه من قبل ، لكنه يعرف الآن .. عليه أن يقتنص لحظة سعادة ..

* * *

لم يكن مارتن مغفلاً . كان يدرك أن السعادة شىء نسبى ، وأن هناك درجات من الرضا . كمتشرد كان يسعد بأن تكون يداه دافئتين وأن يجد مقعدًا طويلاً فى الحديقة ، أو علبة من خمر (الستيرنو) المعتقة . وكان يصل للسعادة بأشياء بسيطة كهذه .. لكنه يعرف أن هناك أشياء أخرى .

خلال يومين بلغ مدينة شيكاغو العظيمة ، وبصورة طبيعية تاه فى شارع ماديسون وبدأ يحاول أن يرفع قدره فى الحياة . صار متسكعًا وتلخصت السعادة بالنسبة له فى سرير فى فندق رخيص ووجبة فى مطعم وبعض النبيذ . وقد خطر له بعدما شعر بأنه سعيد أن يوقف الساعة . ثم تذكر وجوه المحسنين الذين أعطوه مالاً.. كانوا أخيارًا لكنهم كانوا يتمتعون بالثراء وكانت ثيابهم

أفضل ويقودون سيارات جميلة . بالنسبة لهم كانت السعادة أكثر .. إنهم يأكلون عشاءهم فى فنادق فاخرة وينامون على مراتب طرية . هكذا نظر لساعته وقرر أن يذهب لينام ، عازمًا على أن يجد لنفسه عملاً ويحسن حاصل سعادته .

عندما استيقظ كان ما زال تحت تأثير الخمر ، لكنه كان مصممًا . قبل أن يمر الشهر راح يعمل لدى مقاول كبير فى الجنوب فى أحد مشاريع التعمير الكبيرة . كان الراتب جيدًا وسرعان ما صارت لديه شقة من غرفة واحدة فى شارع (بلو آيلاند) ، وقد ابتاع لنفسه فراشًا مريحًا واعتاد الأكل فى مطاعم محترمة .

وعـــده صاحب العمـــل بزيادة .. معنى الزيادة أن بوسعه الحصول على سيارة مستعملة ، ومن الممكن وقتها أن يتعرف فتاة .. أصدقاؤه يفعلون ذلك ومن الواضح أنهم سعداء .

هكذا ظل يعمل فجاءت الزيادة .. ثم جاءت السيارة . وسرعان ما جاءت فتاتان ..

عندما اكتمل هـــذا فكر فى أن يدير الساعة ، لكنـــه تذكر ما يقوله بعض كبار السن . كان هناك رجل يدعى تشارلى يعمل معه على الرافعة ، قال له :

ـ « عندما تكون صغيرًا ربما تنبهر بأن تعرف هذه الخنازير .. لكن بعد فترة سوف تريد شيئًا أفضل .. فتاة لطيفة لك .. »

شعر مارتن بأن عليه أن يجد الحقيقة . لو لم يحب ما يجده فيمكنه العودة إلى حيث كان .

مرت ستة أشهر قبل أن يقابل ليليان جيليس . كان قد نال ترقية وبدأ يعمل فى المكتب . جعلوه يذهب لمدرسة ليلية ليتعلم مسك الدفاتر . وكان معنى هذا زيادة 15 جنيهًا فى الأسبوع . كانت ليليان رائعة ، وعندما قالت له إنه ستتزوج منه ، صار على يقين أن هذه هى اللحظة .. لكنه لم يكن قادرًا على الزواج منها ما لم يجمع مالاً أكثر .

مر عام ، لكنه لم يظهر الساعة أمام ليليان قط . كان الرجال الآخرون يلبسون ساعات ثمينة ، لذا بدت ساعة السكك الحديدية العتيقة رخيصة نوعًا .

نظر للعقارب وابتسم . مجرد لفات بسيطة ويكون عنده شىء لم يملكه قط أحد زملائه البؤساء . رضا أبدى مع عروسه الخجول .

لكن الزواج كان البداية فقط.. كان رائعًا بالتأكيد لكن ليليان قالت له إنه من الرائع لو ارتحلا لمكان جديد . كان يريد أثاثا غاليًا وسيارة جيدة .

بدأ يأخذ دورات ليلية وحصل على ترقية ، ومع قدوم الطفل أراد أن يرى ابنه . عندما جاء قرر أن ينتظر حتى يكبر قليلاً ويمشى وتصير له شخصية .

شعر بإغراء شديد أن يدير الساعة عدة مرات ، لكنه قرر أن ينتظر إبرام صفقة ممتازة تتيح له التقاعد . حدث هذا فعلاً لكنه استغرق وقتًا . كان ابنه فى المدرسة الثانوية عندما خطر له أن الوقت قد حان .. فهو لم يعد طفلاً .

عندئذ قابل (شيرى وستكوت) وبدا أنها لا تعتبره فى منتصف العمر برغم أنه يفقد شعره ويكتسب كرشًا . وتعلم معها أن الجمة تخفى صلعة رأسه والكورسيه يدارى بطنه . علمته الكثير حتى صار مستعدًا لأن يخرج الساعة ويلفها.

للأسف اختار اللحظة التى اقتحم فيها المخبرون الفندق ، وكان عليـــه أن يمضى وقتًا طويلاً فى إجراءات الطـــلاق وهى لحظات لم يقدر أن يقول إنه يستمتع بأى منها .

وعندما تمت التسوية مع (ليليان) عاد مفلسًا من جديد ، ولم تعد شيرى تراه شابًا .. هكذا عاد للعمل .

فى النهاية صنع ثروته واستغرق الأمر فترة أطول ، ولم يقدر على الاستمتاع . كان قد فقد اهتمامه بالنساء والخمر .. والطبيب أنذره منهما على كل حال . كانت هناك متع للرجال الأثرياء على كل حال .. السفر على سبيل المثال .. دار حول العالم بالدرجة الأولى ، وزار تاج محل فى ضوء القمر . هنا أخرج الساعة وفكر فى أن يديرها .. ولم يبد أن هناك من يلاحظه .

بالأكيد هى لحظة جميلة ، لكنه وحيد .. رحلت ليليان وابنه وشيرى وليس لديه أصدقاء . ربما لو وجد أصدقاء لعرف السعادة . هذه هى السعادة الحقيقية .. الأصدقاء .

على ظهر القارب العائد للوطن ، حاول أن يتعرف بعض الناس . لكنهم كانوا أصغر منه بكثير ولا يوجد شىء مشترك بينه وبينهم . كانوا يريدون الرقص والشراب وصحته لم تعد تسمح بذلك .

ربما لهذا وقع هذا الحادث الصغير قبل أن ترسو السفينة فى سان فرانسسكو . الحادث الصغير هو المصطلح الذى استعمله طبيب السفينة ، لكن مارتن أدرك أن الرجل يشعر بالخطورة وطلب منه البقاء فى الفراش . طلب سيارة إسعاف تقابلهم فى الميناء لنقل المريض للمستشفى .

فى المستشفى لم تقدر المعاملة الغالية والابتسامات الغالية فى إقناع مارتن . كان مسنًا قلبه مريض وقد حسبوه على وشك الموت .

لكنه سوف يخدعهم فالساعة ما زالت معه .. سوف يديرها بعد أن يفر من المستشفى . لا يجب أن يموت . يمكنه خداع الموت بحركة بسيطة وقد قرر أن يفعل هذا وهو يقف تحت السماء .. حرًا .

هذا هو معنى السعادة .. ليس الصداقة بل الحرية .. يفهم هذا الآن .. مـــن الجميل أن تكـــون حـــرًا من الأسرة والأصدقاء وغضبات الجسد .

مشى جوار الجسر فى الظلام . هنا أدرك أنه عاد إلى حيث بدأ منذ أعوام طويلة . لكن اللحظة كانت جميلة .. جميلة تستحق أن تخلد للأبد .

ابتسم وهو يفكر فى الأمر .. وفجأة تقلصت الابتسامة مثل الألم الذى تلوى حادًا فى صدره . بدأ العالم يدور وسقط على جانب الجسر.

كان مفيقًا لكنه لا يرى جيدًا . عرف أنها نوبة أخرى .. مؤلمة . لن يكون أحمق ثانية .. لن ينتظر ليرى ما ينتظره عند الركن.

الآن يجب أن يستعمل قواه وينقذ حياته . يمكنه عمل ذلك .. يمكنه الحركة ولن يمنعه شىء .

أخرج الساعة العتيقة وراح يعبث بالعقارب .. سوف يخدع الموت ولن يركب قطار الجحيم ..

أبـــدًا .

لم يفكر فى الكلمة من قبل .. أن تستمر للأبد . هل حقًا يريد أن يستمر للأبد بهذا الشكل ؟.. مجرد رجل عجوز سقيم يرقد بلا حيلة على العشب ؟

لا .. لا يستطيع عمل ذلك .. وفجأة أراد أن يبكى بشدة . لقد غلبه ذكاؤه وها قد فات الوقت .. الدمع يغمر عينيه .. هنا سمع صوت هدير ..

عرف الصوت بالطبع ولم يندهش إذ رأى القطار قادمًا خارجًا من الضباب . لم يندهش عندما توقف أو عندما نزل المحصل ومشى نحوه.

لم يتغير المحصل قط .. حتى نفس الضحكة الشريرة.

ــ « مرحبًا مارتن .. ليصعد الجميع .. »

همس مارتن :

ــ « أعرف .. لكن عليك أن تحملنى .. لا أستطيع المشى بل لا أستطيع الكلام أصلاً .. »

ــ « أسمعك جيدًا .. يمكنك المشى كذلك .. »

ووضع يده على صدر مارتن فشعر بتنميل عابر كالثلج ، ثم بدأ يمشى .

نهض مع المحصل ماشيًا إلى جانب القطار . وسأل :

ــ « هنا ؟.. »

غمغم المحصل :

ــ « لا .. العربة التالية .. أعتقد أن من حقك ركوب البولمان(*) فأنت رجل ناجح برغم كل شىء . لقد ذقت الكثير من المتع .. »

تنهد مارتن :

ــ « ليكن .. لا ألومك على أخطائى . لكن ليس بوسعك أن تزعم أنك مسئول عما حققته .. لقد عملت بجد لأحققه ولم أحتج لساعتك .. »

ــ « نعم .. لكن هل يضايقك أن تعيدها لى ؟.. »

غمغم مارتين :

ــ « تريدها للأحمق التالى ؟.. »

ــ « ربما .. »

(*) عربة نوم .



رفع مارتين عينيه لكنه لم يستطع رؤية عينى المحصل . كانت حافة الكاب تلقى ظلاً على عينيه . نظر مارتن للساعة . وسأل بنعومة :

ـ « قل لى .. لو أعطيتك الساعة فماذا تفعل بها ؟.. »

ـ « سألقيها فى خندق .. هذا ما سوف أفعله بها .. »

ومد يده نحو مارتن .

ـ « ومـاذا لو جـاء أحدهـم ووجدهـا ولفهـا وأوقـف الزمن ؟.. »

غمغم المحصل :

ـ « لن يفعل أحد هذا حتى لو عرفوا .. »

ـ « هـل تعنى أن هـذه خدعـة ؟.. هـذه ساعة رخيصة عادية ؟.. »

همس المحصل :

ـ « لم أقل هذا .. قلت إنه ما من واحد جرب أن يديرها بالعكس.. كلهم كانوا مثلك يا مارتن .. يبحثون عن السعادة وينتظرون لحظة لا تأتى .. »

تنهد مارتن وقال :

ـ « أنت خدعتنى برغم هذا .. »

ـ « أنت من خدع نفسه يا مارتن . والآن سوف تركب قطار الجحيم .. »

ودفع مارتن عبر الدرجات إلى العربة .. بدأ القطار يتحرك ودوت الصفارة .. ووقف مارتن فى البولمان المهتز فى ممر بين الجالسين .. ولم يبد له هذا غريبًا .

هنا هم جميعًا .. السكارى والخطاة والمقامرون والمحتالون والمبذرون والمتحرشون بالنساء وكل (شلة الأنس) .. يعرفون بالطبع إلى أين هم ذاهبون لكنهم لا يبدون مبالين . كانوا قد

أرخوا الستائر وراحوا يغنون ويتناقلون زجاجة ويقهقهون . بالضبط كما كان بابا يقول عنهمً فى أغنيته القديمة .

قال مارتين :

ـ « زمــلاء ســفر لطيفــون .. يبــدو لى أنهم مستمتعون حقًا !.. »

هز المحصل كتفيه :

ـ « لن تظل الأمور مرحة بهذا الشكل عندما نصل .. »

قال مارتن :

ـ « لقد اتفقت معك على أن أوقف الزمن عندما أجد لحظة السعادة المثلى .. وأنا هنا فى لحظة سعادة حقيقية .. »

وببطء أمسك بالساعة الفضية .

صاح المحصل :

ـ « لا ! .. »

لكن عقارب الساعة دارت ..

ـ « هل تعرف ما فعلته ؟.. لن نصل لوجهتنا أبدًا .. سوف نظل فى هذه الرحلة للأبد ! .. »

ضحك مارتن وقال :

ـ « أعرف هذا .. لكن الرحلة هى المتعة وليست الوجهة . أنت علمتنى هذا . أتمنى رحلة رائعة.. لو أردت يمكنك أن تبقى الساعة معى وتمنحنى (كاب) كالذى تضعه .. »

هكذا صارت الأمور.

يحمل الكــاب وســاعته الفضــية .. لا يوجــد من هو أسعد من مارتن فى العــالم .. مارتن عامــل المكابح الجديد فى قطار الجحيم !

متاهة التعلم

لا يذكر (جون)[*] أية فترة لم يكن فيها فى المتاهة . لابد أنه كان صغيرًا لأن أول ما يتذكره هو رقاده على ظهره يمتص بنهم من أنبوب يخرج من جهاز التغذية . كان جهاز التغذية يعمل بنظام (السرفو) لكن جون لم يلحظ هذا حتى وقت متأخر . فى وقتها لم يكن يشعر سوى بالمعدن الذى يتحرك فوقه ، والذى يمد ممسًا مجوفًا لشفتيه الجائعتين . كانت هناك كذلك آلة لتغيير الثياب تعنى به من وقت لآخر لتبديل ثيابه المتسخة وتنظف جسده وتكسوه بثياب جديدة .

صارت ذكريات جون أكثر وضوحًا مع اتساع مساحات استقباله . أول وحدة من المتاهة كانت مكانًا واسعًا يرقد فيه مئات الرضع فى وحدات الحضانة البلاستيكية ، بينما تتنقل آلات التغذية والتغيير بينها . من وقت لآخر يظهر ميكانيزم سرفو جديد بلا إنذار ، وهذا يغير إيقاع الأكل والنوم والإخراج.

أدرك جون أن هذا على الأرجح ميكانيزم طبى ، لكنه ظل ينظر له كعنكبوت .. مخلوق شبيه بالحشرات عملاق يدنو منه بأرجل متباعدة فضية ، تتلمس فتحات وأعضاء جسده . كان يسجل النبض والتنفس وموجات الدماغ وتمثيله الغذائى ، وكان يصحح النقص بالحقن .

(*) هجاء الاسم غريب Jon وليس John ليوحى بغرابة الجو

كان بطبعه يكره هذه العملية .. برغم علمه أنها غير شخصية والكمبيوتر يتحكم فيها لمصلحته فإنه ظل يمتعض منها .

كان الرضع الآخرون يصرخون كذلك ، لكن لم يكن كل شيء غير سار بهذا الشكل . إذ مر الوقت بدءوا يتحركون بحرية تقودهم أيد تمسك بهم ، ثم بدءوا يزحفون . زحف جون معهم وفى النهاية فارق وحدة الحضانة ليبحث عن الأصوات والصور خلفها .

كانت الأصوات والصور تأتى من خلف الجدران .. من شاشات التلفزيون المتصلة بالدائرة المغلقـة . كانت الشاشات تغنى له بنعومة ليلاً وفى النهـار كانت تعرض صـور الأطفـال الآخرين يغنون فى سعادة . راح جون يراقب الشاشات وراح يقلد الصور ، وتعلموا كيف يتغذون من أوعية صغيرة تضعها آلات الإطعام على فترات منتظمـة عنـدما لا تستعمل الأنابيب . بكى بعض الرفـاق عنـدما توارت الأنابيب لكنهم بدءوا يأكلون ما يوضع أمامهم .

بدأت عمليـة التعليم ، وكانت هى الوظيفـة الحقيقية لمتاهة التعلم .. أن تعلمهم كيف ينمون ويعيشون .

فى جو الغرفة المعقم بحرارتها المضبوطة ودرجة الرطوبة ، راقبوا الرضع على الشاشة يزحفون ثم ينتصبون واقفين ويخطون خطواتهم الأولى .

بدأ جون يمشى مقلدًا لهم .. سرعان ما بدأ الآخرون يمشون ويستكشفون الغرفة . كان التعلم يشمل اللمس والاتصال الجسدى وإدراك الفوارق والتشابهات والصحوة الجنسية . كانت المتاهة تنتظر .. وعندما جاء الوقت اختفت الشاشات فى الجدار ، وظهر باب عند نهاية الغرفة .

عبر هذا الباب رأى جون غرفة أخرى مليئة بأطفال آخرين . فى البداية اكتفى جون بأن يراقب غير متأكد خائفًا . ثم بدأ يشعر بالحاجة للحركة عبر البـاب . لا يوجد حاجب لذا دخل بسهولة إلى الجزء المجاور من المتاهة.

هنا كانت الأماكن أكثر اتساعًا والشاشات أكثر تعقيدًا ، برغم أنها كانت تغنى نفس الأغانى ليلاً فإنها كانت تتكلم معهم فى النهار .

كان الليل مظلمًا والنهار مشرقًا ، وكان هذا أول ما تعلمه جون . وقبل أن يفهم الكلمات تعلم الكثير من الأشياء . هنا كانت

آلات التغذية والتغيير مختلفة . أشكالها المعدنية كانت تشبهه على نطاق أكبر .. كانت لها أذرع وأرجل ورءوس وكانت تتحرك مثله . فقط لم تكن هذه الآليات تتعب أو تبدى عاطفة . وربما لهذا لم تكن لها وجوه .. فقط سطوح ملساء أمام الرءوس منها تخرج التعليمات والأوامر .

بدأ جـون يفهم الأصـوات سـواء كانت مـن الشاشات أو ميكانيزمات السيرفو وبدأ يتعلم كيف يستجيب وكيف يجيب.

سرعان ما وجد جون نفسه يمارس الصبا بشكل عادى . كان يلعب بأشـياء مضـيئة . الألعـاب التى تقيس قوته وتحسن انعكاساته الحركية وتناسقه وتعلمـه مهارات التحكم . تكلم مع رفاقه الذين كانوا ذكورًا . كون أصدقاء وأعداء وتعلم العلاقات الاجتماعية من أخذ وعطاء ، والمنافسة والاستقلالية . هذا جعل عنده حافزًا وأراد أن يتفوق ليتميز .

تكونت توجهات جون من الشاشات . وإذ تقدم فى العمر ، أدرك العالم الخارجى .. العالم الحقيقى خـارج متاهة التعلم . العالم الذى وجد قديمًا من دون متاهات من أى نوع ، حيث عاش البشر حياتهم بعون محدود من أضعف ميكانيزمات السيرفو .

كان التاريخ أو (قصتهم) ــ كما يطلق عليه اليوم ــ يتعامل مع الطابع الخلاب لتلك الثقافة البدائية عندما كان الأبوان البيولوجيان مسئولين عن تعليم ذريتهما . تساعدهما مؤسسات بدائية .

تعاون الصراع العاطفى والجهل ليؤديا للنتيجة المحتومة : دخل العالم حروبًا لا نهاية لها حيث تم تدمير السكان وبيئتهم الطبيعية تقريبًا .

عندها فقط ظهر مفهوم متاهة التعلم.

فى البداية كان مجرد وسيلة لدراسة سلوك الحيوان فى المختبرات عتيقة الطراز ، ثم صار أداة تجريبية لتكييف الأطفال نفسيًا على عوالم جديدة . تمدد مبدأ متاهة التعلم كى يجلب التعقل والتحضر للبشر . واستطاعت ميكانيزمات السيرفو التى يسيطر عليها الكمبيوتر ، أن تتخلص من أية أخطاء .

ولى تراث السادة والخدم عتيق الطـراز الذى أدى للدمار . اليوم تلعب الآلات هذه الأدوار والإنسان صار حرًا يتعلم كيف يعيش .

تعلم جون أن مشكلته الوحيـدة هى تحاشى العقبـات عبر الطريق . نعم كانت هناك عقبات فى متاهة التعلم . برغم أن الأرض تحت قدمه كانت صلبة ، فهى كانت قابلة للانهيار وقد رأى هذا يحدث .

لم يتعلم رفاقه جميعًا بذات السرعة . بعضهم لم يهتموا بالشاشات واستيعاب المعلومات . لكن ميكانيزمات السيرفو كانت تلاحظ هذا وتتصرف على أساسه .

كان التصرف بسيطًا ومباشرًا .. كان التركيز ينصب على طفل كسول أو غير ذكى ، فتنطلق ذراع تحرك رافعة على جانب رأسه . هنا وبلا إنذار تنفتح الأرض تحت قدمى الطفل ويسقط فى الظلام من تحتـه . أحيانًا كانت هنـاك صرخة لكن غالبًا كان هذا يتم بسرعة ، ثم تعود الأرضية تنغلق كـأن الفتحـة والطفل الذى ابتلعته لم يوجدا قط .

لم يكتشف أحد ما يحدث لهؤلاء الذين اختفوا ، ولم تعط الشاشات أى تفسير . ولم يبد رفاق جون أى شىء يوحى بأنهم لاحظوا أماكن السقوط ، فقد كانت أماكن متوارية دومًا فلا توجد طريقة لتحاشيها . خمنوا كثيرًا لكن لم يعرف أحد يقينًا لذا كفوا

عن التخمين . كان المهم أن يدركوا أن الخطر موجود ويمكن أن يواجه أيًا منهم فى أى وقت . سحب الرافعة كان عقاب عدم التعلم .. ألا تكون قادرًا على التعلم .. أن تكون أكثر مرضًا وضعفًا من أن تتعلم .

لكن التعلم كان يجلب جوائز ، فمن حين لآخر كان باب ينفتح ويقود لمنطقة جديدة . كان هناك جزء جديد من المتاهة ملىء بأشياء مثيرة.

كانوا شغوفين بدخول هذا الجزء لكنهم كلما حاولوا كانت سدود غير مرئية تظهر أمامهم . كانت الأصوات تخبرهم أنهم غير متأهبين قبل أن يتعلموا أكثر . كل صبى كان يصر على العبور للغرفة الأخرى ، كانت فجوة فى الأرض تنفتح تحت قدميه .

ازدادوا قوة بينما الحاجز ازداد ضعفًا ، وفى النهاية اخترقه واحد تلو الآخر.. هناك قابلوا الأنثى ومن هناك انتقلوا لقطاعات أخرى أكثر اتساعًا .

زميلة جون كانت تدعى (آفا) .. وكانت مكلفة بإعداد الطعام الذى تتركـه ميكانيزمات السيرفو . فى البدايـة لم يكن مهتمًا بالطعام جدًا ومع الوقت بدأ اهتمامه يتزايد بمسائل الراحة والطعام .

هنا أيضًا كانت هناك عقوبات ومكافآت .. الطعام كان يقدم لمن يرغب فعـلاً فى أن يتعلم ، وكانت آفا مشغولة دومًا فى واجبات الحياة لذا حرص هـو على أن يظهر بانتظام أمام الشاشات فى الوقت المناسب ليظهر أنه راغب فى التعلم .

الآن صارت الصور متشعبة ومعقدة . كانت هناك صور تظهر بالغين يقومون بنشاطات مختلفة ؛ منها مراقبة الشاشات ، والبعض انهمك فى استعراض القوة مع رفاقه ، كى يظهر قوته أمام الإناث .

لم يمل جون آفا لكنه راح برغم هذا يدرس تقنيات المنافسة مع الفتية الآخرين . فقد أدرك أنه فى العالم الحقيقى يحظى الرجال الأقوى والأكبر بأجمل النساء ، وينالون حسد رفاقهم.

كلما تعلم أكثر كلما اهتم أكثر بأن يختبر قوته ، وقد أثار ملله أن آفا غير مهتمة على الإطلاق بالعالم الخارجى ولا تفهم لماذا يرغب فى مغادرته .

كان جون قد مل مراقبة الشاشة وكان قلقًا على مصير زملائه . كان قد رآهم يحرمون من الطعام لأنهم أهملوا واجباتهم اليومية . والبعض اختفوا تمامًا .

لم يبد أن هناك عقابًا للإناث .. ويبدو أن عدم اهتمامهن لم ينقص من قدرهن ؛ لأن تربيتهن السابقة كانت مختلفة . لكن الذكور كانوا مطالبين باستكمال المعرفة ، وكان جون مضطرًا للتجاوب .

بالإضافة لهذا ظهرت فتحة جديدة فى ركن الغرفة البعيد وقد وجد نفسه يرمق الفراغ الجديد فى فضول . عرف دون أن يخبره أحد أن هذا هو العالم الحقيقى . العالم الذى تم تدريبه ليعيش فيه طيلة هذه السنين .

ما يوجد خلف الحاجز غير المرئى لم يكن مجرد غرفة بسيطة ، بل سلسلة عملاقة من الممرات وكل منها ذات فتحة يمكن أن ترى ما يدور فيها بسرعة . وكان آخرون سواه يمشون فى هذه الممرات ويدخلون أقسامًا مختلفة حسب إرادتهم ، ويدخلون لأجزاء أخرى فى المتاهة .

لم ير جون أية شاشات وكان هذا جيدًا . هنا يبدو أن الرجال يعيشون ولا يتعلمون . كانت هنـــاك نســـاء يحملن كميات كبيرة من الطعام والثياب من مكان لآخـر . ويبـدو أن هناك مقايضة أو مبادلة .

لم يقدر جون على الانتظار حتى يلحق بهم . عندما اتجه للفتحة وجد أنه يعبر دون إعاقة وبلا تفكير ترك آفا خلفه . آفا ذات البطن المنتفخة والوجه عديم التعبير والكلام الغبى .

ما إن عبر الحاجز حتى نسى آفا تمامًا . هناك الكثير مما يراه والكثير مما يعمله . هذه الممرات تمتد بلا نهاية فى كل اتجاه .. وهناك غرف كثيرة جدًا .

كان قد اعتقد أنه لا توجد شاشات.. الحقيقة أنه كان مخطئًا .. لقد تزايد عددها . فقـط لم يكن هناك تشابه فى الصور التى تعرضها .

توقف عند باب غرفة فاستطاع أن يسمع بعض الأصوات تطالبه بالدخول ، وتعده بمكافآت كثيرة ، لكنه سمع المزيد من الأصوات تطالبه بأن يرحل فورًا وأن يجرب الغرف الأخرى .

كانت ميكانيزمات السيرفو هنا كذلك .. لكنها أقل اجتذابًا للملاحظة لأنها تشبه زملاء جون . كانت تتحرك بسلاسة وحركاتها طبيعية . كانت تتكلم بأصوات واثقة تدل على السلطة . وكانت تضع أقنعة تشبه اللحم وهذه الوجوه لها تعبيرات حية . قالوا له :

ــ « اتبعنى .. »

فانضم جون لمجموعة اقتادته عبر شبكة محيرة من الأماكن التى تذكرك بحلبة المصارعة . فى مكان كهذا جمع أحد القادة كل من له وجه أشقر بينما جمع آخر كل من هم سمر . ومن شاشات الجدران دوت صيحات تأمر كلاً من رجال المعسكرين بأن يدمر رجال المعسكر الآخر .

كانت الضوضاء لا تتوقف ، والارتباك شنيعًا ، ووقف القادة جانبًا يراقبون ما يحدث . وعندما كان واحد من الفتية يتخاذل كانت الأرض تنفتح من تحته لتبتلعه .

هنا فقط أدرك جون أن القادة ميكانيزمات سيرفو ؛ لأن الأقنعة انزاحت إلى جانب ، فرأى السطح المعدنى عديم الملامح من تحته .

قاتل جون ليشق طريقه وسط الزحام وفر إلى ممر جانبى ، فقط ليجد نفسه فى منطقة أخرى حيث بدا أن النشاط الرئيس هو نزع أقراص معدنية مثبتة للجدران . كان هناك الكثير منها على الجدران ، بينما الأصوات تتحدث عن روعة أن تجمعها فى مكان واحد فى كومة واحدة . كان الأمر يقتضى مهارة وبراعة ولم

يكن هناك هدف سوى جمع هذه الأقراص . لهذا كانت مجموعة من الحسناوات يراقبن الموقف ، ويتوددن لمن يملك أكبر عدد من الأقراص . ولاحظ جون أنهن لا يبقين طويلاً مع الجامع الواحد بل يتركنه لواحد آخر على الفور .

كان انتزاع الأقراص من الجدار عملية أليمة تجعل الأصابع تدمى . وكان بعض الجامعين يسرقون الأقراص من زملائهم .. الواقع أن الكمية الأعظم كانت تجمع بهذه الطريقة فقط : بالسرقة . لكن كان هناك شىء فريد ، هو أن الذين يجمعون كانوا يغرقون فى العمل ، لدرجة أنهم لم يعودوا يلاحظون الفتيات الحسناوات ولا الطعام .. حتى النوم لم يبد مهمًا .

عندما كان العمل يهدأ بسبب الإرهاق ، كانت ميكانيزمات السيرفو تظهر وتجذب الروافع . من ثم يختفى جامعو الأقراص وسارقوها ، فلا تبقى منهم سوى ذكرى عن وجودها . وهذه الذكرى سرعان ما يمحوها المتصارعون الجدد.

كان هذان مكانين فقط من الأماكن التى اكتشفها فى المتاهة .. كان هناك قسم للصراخ .. لا يمكنه التفكير فيه بشكل مختلف ..

على كل واحد أن يسكت أصوات منافسيه وأن يحولهم إلى مستمعين .

حاول جون أن يصغى أولاً ، لكن كلما سمع أكثر كلما زاد ارتباكه . الأصوات كان بعضها يطرى المصارعين والبعض ينتقدهم . البعض أطرى مزايا جمع الأقراص والبعض لامهم . عندما فقد المستمعون اهتمامهم ظهر ميكانيزم سيرفو ليتخلص ممن فقدوا اهتمامهم.

فى قطاع آخر وجد جون المستمعين يجتذبون الأتباع لكن بطريقة أكثر لطفًا . كانت الأصوات تتحدث عن أسرار متاهة التعلم .. وكانت هذه التعليمات غامضة تحتاج إلى من يفسرها . لكن كل متكلم كان لديه تفسير مختلف عن معنى المتاهة والغرض منها وكيف تمضى فيها . كان كل متكلم يشكك فى كلمات الآخرين حتى على مستوى اللغة ، وفى النهاية تحولت اللغة المهذبة إلى صراخ وتهديدات بعقاب لا نهاية له . وكان المتكلم يستعين بميكانيزم السيرفو لعقاب المتشككين . وكان جون متحمسًا فى البداية ثم فقد اهتمامه عندما تحول الكلام الهادئ إلى صراخ ، ولاحظ أنه فى النهاية تأتى الآلات لتمحو

الجميع ، سواء من كانوا يصدقون أو لا .. وفى النهاية لا يبقى فى الغرفة أحد .

كانت هناك غرفة راح كل من فيها يقيسون .. عمليات قياس لا نهاية لها . كانوا قد كرسوا أنفسهم للقياس فراحوا يقيسون مساحة الغرفـــة ويحـــاولون قيـــاس أنفسهم . وكـــان هؤلاء الملاحظون يشعرون بالتفوق عمن سواهم فى المتاهة . وكانوا يؤكدون أنهم عن طريق القياس سوف يصلون إلى أن يصيروا سادة المتاهة . وما لم يكـــن قابلاً للقياس على أســـاس الحجـــم أو الكتلة أو السرعة كانوا يضعون نظريات بصدده . كان جدلهم لا ينتهى لذا كانت النتيجة النهائية دومًا هى الغضب . وبرغم هذا كله لم يفكر أحدهم فى أن يفارق الغرفة .

من جديد لم يقبل جون أن يندمج تمامًا فى هذه النشاطات وراح يبحثِ عن أقسام أخرى . كانت هناك حلبة أخرى يتصارع فيها الشباب مع الكهول ، وكلاهما يحاول فى أنانية أن يسيطر .. لكن إذ تقدم الشباب فى العمر ، بدا أنهم يغيرون معسكر ولانهم وقد أربك هذا جون حتى أنه فضل الابتعاد .

فى مكان آخر لم يعد الطعام والجنس مهمين . كانوا يجلسون بلا استجابة ولا يتحركون إلا عندما تصرخ الشاشات فيهم أو تتعاقب عليها الصور . من حين لآخر ينهض بعض هؤلاء ليقلدوا ما رأوه فيرسمون على القماش بعض الرسوم أو يعزفون على آلات تصدر نغمات كالعواء.

لكن ما كانوا يعزفونه لم يبد ذا أهمية لمن لم يكونوا مخدرين مثلهم . وفى النهاية كانوا يتأملون وجوههم فى مرايا صغيرة تشوه الملامح .. هنا كانت ميكانيزمات السيرفو تتحرك نحو الذين غابوا عن وعيهم أكثر من سواهم فيتم التخلص منهم بسهولة .

واصل جون رحلته . فى النهاية وجد غرفة بدت أكثر جاذبية من سواها برغم أن الميكانزمات على الباب لم تطالبه بالدخول . ربما هذا هو ما جذبه . كما أن الميكانزمات لم تكن كما تعود؛ فعلى الرءوس كان هناك سطح عليه رمز .. وقد عرف هو ذلك الشكل اللولبى الذى تحته نقطة لأنه رآه على الشاشات من قبل : علامة استفهام .

كانت الغرفة صامتة ، بينما يجلس رجال على الأرض متربعين ينظرون لشاشات خاوية ، يخرج منها أزيز عميق خافت . كان الصوت منومًا لكن الجالسين لم يبد أنهم مخدرون أو نائمون .. فقط يتأملون .

دخل جون الغرفة وقد أرهقه المشى وأرهقته المشاهدة . تلقائيًا غاص ليجلس على الأرض فى ذات الوضع وراح ينظر للشاشة . للحظة خيل له أنه يرى عبر الخواء شيئًا خلفه . أليس هذا صوتًا ؟

راح يحاول جاهدًا أن يرى أو يسمع ، لكن كلما حاول أكثر قل ما يتلقاه . هذا الجهد جعله يشعر بنفسه فقط .

استرخى وهنا بدأ يفهم .. عندما لا يبذل مجهودًا ليرى فإنه يرى .. عندما لا يبذل جهدًا ليسمع فإنه يسمع . فقط جاء الصوت والصورة من داخله.

للمرة الأولى فهم متاهة التعلم .. المتاهة المبرمجة بالكامل والتى يتم التحكم فيها بالكامل.. كانت استنساخًا لماضى البشر بكل نواحيه فى شكل مادى . كانت هذه أنماط حياة البشر منذ زمن سحيق والتى أدت لدمارهم .

كل من اهتموا باللذة الحسية قد دمروا . كل من طلبوا القوة والذين اهتموا بالملكية ، والذين حاربوا بعضهم بسبب الاختلاف فى الشكل أو العقيدة قد كتب عليهم الفناء . الانهماك فى جمع المعلومات أو البحث النظرى كان من أسباب الدمار .

هدف المتاهة كان التركيز على الأسباب التى تؤدى لدمار البشر . كانت توضح الأشكال العديدة للوجود والانغماس فى سلوك واحد لأقصى حد . الإنسان يجرب الحياة ويمارسها ككل .. لكنه لا يمنح نفسه بالكامل لجزء منها .

بطريقتها فى الثواب والعقاب ، كانت المتاهة تستبعد عناصر معينة ممن يرغبون فى الخروج للعالم الحقيقى .

حتى هذا التأمل نفسه قد يؤدى لدمار الذات . المعرفة مطلوبة لهدف فقط .. لاستعمالها فى الحياة .

حان وقت مغادرة المتاهة وقد عرف جون الطريق .

عندما خرج من التأمل غادر الغرفة الهادئة ، فلم يعد مترددًا . الطريقة كانت سهلة متى فهمتها . الغرف ليست سوى أماكن تسجن الغافلين ، لكن ما يهم هو المرء ذاته . كل ما عليه هو أن يركز فى تعرجاته .

لم يعد يريد التوقف أو المشاركة .. لم تعد الغرف تثير شغفه فقد رأى الكثير منها .

لقد تغلبت الغريزة ووجدت الطـــريق الصحيح له . ترك المتشابهات واتجـــه نحـــو الحقيقـــة . الآن أمامه رأى الفتحة والضوء من خلفها وليس الضوء الصناعى الخارج من الكهوف .. بل ضوء الحقيقة .

اندفع نحوه .. لا توجد عقبات .. لا شىء يعوق تقدمه .

تحرك ميكانيزم سيرفو أمامه لكن خطوات جون لم تبطئ . وأمره :

ــ « دعنى أمر .. »

وقف الميكانيزم بلا حركة .. يبدو كأن ملامحه تتساءل بلا كلام .

شعر جون بالسؤال فأجاب عنه :

ــ « لماذا ؟.. لأننى تعبت من هذه السلطة التى لا وجه لها والروتين عديم المعنى والتغيير العبثى . تعلمت كل ما بوسعكم تعليمى إياه ، والآن أريد العالم الحقيقى .. »

قال الميكانيزم بنعومة :

ــ « لكنك عشت كل حياتك فى العالم الحقيقى فعلاً .. حاول أن تفهم .. »

حاول جون لكن الوقت لم يتسع .

كان الميكانيزم بالفعل يجذب الرافعة .



الجمال النائم

قال مورجان :

ــ « نيو أورليانز .. أرض الأحلام .. »

هز الساقى رأسه :

ــ « نعم .. هكذا تقول الأغنية .. »

ــ « أتذكر (كونى بوزويل) تغنيها فى صباى .. قررت أن أزور هذه المدينة وأرى بنفسي.. لكن أريد معرفة أين هى .. »

ــ « هى ؟.. »

غمغم مورجان :

ــ « أرض الأحلام .. خذ شارع (بيزن) على سبيل المثال .. مجرد طريق سكة حديد قذر . و(عربة اسمها الرغبة) مجرد حافلة(*) .. »

أكد له الساقى :

ــ « كانت هناك عربة بالفعل ... ثم قاموا بإعادة تخطيط المدينة ، وجعلوا كل الشوارع اتجاهًا واحدًا .. إنه التقدم يا ماك .. »

(*) الأول اسم أغنية شهيرة والثانى اسم مسرحية لتنيسى ويليامز . يريد القول إن الفنون جعلته يتخيل صورة أكبر من الواقع للمدينة ..

ابتلع مورجان شرابه وقال :

ــ « تقدم ؟.. عندما جئت هنا اليوم زرت المتحف وميدان جاكسون وزقاق القراصنة وأنطوان .. لا شىء هنا سوى مصيدة للسياح .. »

قال الساقى :

ــ « انتظر لحظة .. ماذا عن كل البنايات العتيقة ذات الشرفات وما إلى هذا ؟.. »

وافقه مورجان :

ــ « رأيتها .. لكنكَ تمشى هناك وماذا ترى عند الباب التالى ؟.. غسالات كهربية !.. هذا ما تراه .. غسالات كهربية فى الــ (فيو ماريه) .. لقد قتلوا أمك الجنوبية العجوز ووضعوا مكانها غسالة كهربية . كل الجمال القديم قد توارى فلم يبق سوى مَتاجر العاديات فى شارع (رويال) ، وهو ملىء بتحف مستوردة من بروكلين .. »

هز الساقى كتفه وقال :

ــ « لكن هناك دومًا شارع البوربون .. »

ــ « لقد زرت شارع بوربون الليلة .. هراء من النيون.. مجرد تقليد سخيف للسياح.. لا يوجد شىء واحد أصيل فى هذا المكان كله .. »

صب الساقى من الزجاجة دون أن يطلب منه وقال :

ــ « الآن أفهم .. ربمــا تبحث عن بعض الفعــل .. أعرف مكانًا ..... »

هز مورجان رأسه مقاطعًا :

ــ « أنا متأكد من أنك تعرف .. كل واحد يعرف مكانًا . وأنا متجه للشمال قبل أن أعبر (رامبارت) استوقفت ثلاث مرات . كان كل سائقى التاكسى يريدون دفعى للذهاب لمكان ما ، وما الذى كانوا يقدمونه لى ؟... أماكن مكيفة !.. هذا كل شىء !.. المرء ينتظر نصف عمره ويدخر المال كى يقوم برحلة إلى هنا ، فيتضح أن أرض الأحلام مكيفة الهواء !.. »

ووقف يضرب على مقعد البار :

ــ « سأقول لك سرًا .. لو أن (جون لافيت) كان هنا اليوم لوجدته سائق تاكسى .. »(*)

(*) بطل فرنسى عظيم شارك فى الثورة الأمريكية وله مكانة عالية عند الأمريكيين .

وخرج من الحانة ليقف على الممشى بالخارج ينشق الهواء الرطب ، والذى كان ضبابيًا . ضباب فى الشارع وضباب فى عقله .

كان يعرف مكانه .. هو شمالى رامبارت شرقى القنال وفندق جونج . برغم الضباب هو لم يضل طريقه .

فجأة تمنى لو كان قد ضل الطريق . كل المنازل مغلقة وهو فى هذا الطريق الجانبى الملتوى حيث يندفع العشب بين الصخور التى تبلط الإفريز . لا سيارات ولا مارة . لولا مصابيح الشارع لحسب أنه فى نيو أورليانز القديمة .. نيو أورليانز الحقيقية التى ترد فى القصص والأغانى .

كانت يومًا هكذا ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فأغلقوا عالم القصص . وجاءت الحرب العالمية الثانية فتحول شارع بوربون إلى ملتقى لضيوف المؤتمرات .

السياح يحبونه بهذه الطريقة .. يشاركون فى مواكب (ماردى جــرا)[*] ويأكلون فى مطعــم أرنو ويجتمعون فى سازيراك ثم يرجعون لبيوتهم سعداء .

(*) معناها الأصلى (الثلاثاء السمين) وهو كرنفال يُحتفل به يوم الثلاثاء الذى يلى عيد الغطاس ، ويسبق أربعاء الرماد ، وهو مناسبة مهمة فى عدد كبير من الدول الغربية .

لكن مورجان لم يكن سائحًا .. كان ذا ميول رومانسية وكان يبحث عن أرض الأحلام .

قال لنفسه : انس ..

بدأ يمشى وحــاول أن ينسى فلــم يقــدر . وازداد الضــباب ــ بنوعيه ــ كثافة . من الضباب الداخلى خرجت مقاطع من أغان قديمة ورؤى من أساطير قديمة . من الضباب الخارجى تبدت جدران مقبرة سانت لويس .. سانت لويس رقم واحد كما يسميها الدليل السياحى .

لتذهب الأدلة السياحية للجحيم ... هذا هو ما يريده مورجان.

نيو أورليانز الحقيقية خلف هذه الجدران . مدفونة فى مجد قديم متحلل .

وجد البوابة ذات القضبان . كانت موصدة .. نظر عبر القضبان محملقًا فى أشكال ضبابية . هذه هى الأشباح .. أشباح حقيقية .. يراها تقف صامتة بيضاء تشير له . يريدون من مورجان أن يلحق بهم . ينتمى لهم .. مع الرومانسيين الموتى ..

ــ « مستر .. ماذا تفعله ؟.. »

استدار مورجان عن البوابة ، فرأى رجلاً صغير الحجم يحملق فيه . رجلاً أبيض الشعر تخرج من فمه رائحة حلوى غريبة .

قال مورجان لنفسه : هذا أحد الأشباح .. وهذه رائحة الفساد ..

لكنه لم يكن سوى الكحول .. العجوز كان حقيقيًا برغم أن وجهه وعينيه كانوا مليئين بالضباب.

كان يقول :

ــ « لا يمكنك الدخول يا مستر .. المكان مغلق ليلاً .. »

هز مورجان رأسه :

ــ « هل أنت الحارس ؟.. »

ــ « لا .. كنت أمر فقط .. »

قال مورجان وهو يشير لما وراء البوابة :

ــ « كذلك أنا .. وهذا أول شىء فى هذه المدينة الملعونة يبدو حقيقيًا .. »

ابتســم العجــوز من جديد ، ففاحت رائحته السُكرية المثيرة للغثيان وقال :

ــ « معك حق .. كل ما هو حقيقى قد مات .. هل لاحظت الملائكة ؟.. »

ــ « حسبتها أشباحًا .. »

ــ « ربما هى كذلك . هناك الكثير من الأشياء هناك بالإضافة للتماثيل .. هل ترى القبور ؟.. الكل مدفون فوق الأرض بسبب المستنقعات . من لم يجدوا قبرًا استأجروا كهفًا فى جدار المقبرة . يمكنك أن تستأجر المكان بالشهر لو أردت ، لكن لو لم تدفع يطردون جدك !.. ما لم يظفر به لصوص المقابر أولاً .. »

واهتز العجوز ضحكًا :

ــ « هل ترى هذه القضبان والسلاسل على الأبواب ؟.. كان على الأثرياء أن يحموا أقاربهم من لصوص المقابر . يقال إن لصوص المقابر كانوا يبحثون عن المجوهرات ، ويقول آخرون إنهم كانوا يريدون ممارسة الفودوو .. »

تنهد مورجان وقال :

ــ « أحب سماع هذه القصص .. ما رأيك فى أن نذهب لمكان كى نشرب شيئًا ونتكلم ؟.. »

انحنى العجوز :

ـ « هذا شرف لى .. »

فى ظروف أخرى كان مورجان سيجد الموقف مسليًا ومضحكًا لكنه بدا له معقولاً الآن . بدا من المعقول أن يقتاده الرجل عبر طرقات ملتوية خلال ضباب سميك . بدا من المعقول أن يقتاده إلى بار حقير به لهب واحد يشتعل فى نافذته المغطاة بالستائر . وبدا من المعقول أن الرجل طلب الشراب لهما معًا دون أن يسأل مورجان عما يفضله.

كان الساقى بدينًا له وجه عديم التعبير البتة ، وقد نظر مورجان للسائل المخضر العكر فى الأكواب . بدا له كضباب مركز لكن له رائحة حلويات مميزة تثير الغثيان ، وقد تذكرها فورًا .

قال العجوز :

ـ « هذا مشروب (الأبسنتى).. لا يسمح لهم بتقديمه هنا لكنهم يعرفوننى .. » ـ ورفع الكأس ـ .. « فى صحة الأيام الخوالى .. »

كان للمشروب مذاق الربسوس والنار.

قال الغريب :

ـ « كان الجميع يعرفوننى وقتها .. جئت للمدينة عام 1902 لم ألتقط لكنتهم قط ، لكننى صرت جنوبيًا محترفًا منذ وقتها .. »

وانفجر فى الضحك حتى صار هذا سعالاً ، فقال :

ـ « حلقى جاف .. »

أشار مورجان للساقى فامتلأت الكئوس بالسائل المخضر . ارتفع السائل وهبط مرارًا فى الساعة التالية . وشعر مورجان بنفسه هو الآخر يعلو ويهبط .

لم يكن شعورًا مرعبًا بل بدا طبيعيًا أن يجلس هنا مع رجل عجوز ينظر له بعينين من رخام .

قال العجوز :

ـ « ستوريفيل .. يمكن أن أحكى لك كل شىء عنها ، فأنا كما قلت جنوبى محترف .. »

وسعل ثانية ثم تمالك نفسه وقال :

ـ « كانت عندى ست فتيات .. لا يمكن أن ينظرن لى اليوم ، لكنى كنت شابًا وسيمًا .. كانت لدى عربتى والحوذى الزنجى وكل شىء .. وقد ظفرت بسائق عندما ظهرت السيارات .. ست فتيات .. ملهى فاخر .. مرايا فى كل غرفة .. ساق يخدم 24 ساعة يوميًا .. كان هناك من يأتون من بعيد حتى ممفيس ليروا الرسوم الزيتية على الجدران .. »

غمغم مورجان :

ـ « لا أجهزة تكييف ؟.. »

ـ « ماذا تعنى ؟.. »

ـ « دعك من هذا وأكمل كلامك .. »

ـ « كنا نطلق على المكان اسم (القصر) وقد كان قصرًا .. كانت الفتيات ينزلن فى ثيـــاب المساء وقـــد عقصن شعرهن وعيونهن تلمع ، كـــن يبدين كالملكات . وكنا نعامل نزلاءنا كالملوك . بدأت الأمور تتغيـــر . وكنا نعامل زبائننـــا باحترام ونعطيهم وقتًا طيبًا .. لكن الجيش أغلق ستوريفيل .. واتجهت فرق الجاز للشمال وعمل الموسيقيون كمنظفى أحذية ، وبعت لوحات الزيت . لكننى كنت محظوظًا عمن سواى . أغلقت كل

(القصر) ما عدا غرفتى بالطابق العلوى . لم يعد هناك سواى والملكة الحمراء .. »

ـ « الملكة الحمراء ؟.. »

ـ « قلت لك إنى كنت محترفًا .. لم يتحطم كل القدامى من أمثالنا .. بقيت فتاة واحدة لكنها كانت مناسبة لكل من يريد أن يتذوق الأيام الخوالى .. هل تفهم ؟.. »

شعر مورجان بحلقه يحترق من الشراب ، وسأل :

ـ « تعنى أنك ما زلت فى المهنة ؟ وأن عندك فتاة من نفس الطراز الذى كان يعمل فى ستوزيفيل ؟.. »

قال الرجل :

ـ « تلبس الثياب القديمة .. غرفتها تشبه غرفتها منذ خمسين عامًا .. أنا انتقائى فيمن أسمح له بالدخول ، لكنى وجدت فيك شيئًا عندما رأيتك أول مرة..... .. »

وقف مورجان وقال :

ـ « هلم .. »



وأخرج حافظته ووضع ورقة مالية على المنضدة وقال :

ـ « معى مال .. كنت أدخر لهذه الرحلة ، ولكن كم يكلفنى هذا ؟.. »

ـ « هى التى تحدد السعر أما أنا فأعتبر الأمر نوعًا من الهواية .. »

خرجا فى الليل وبدا لمورجان أن الضباب أكثر كثافة والشوارع أكثر ظلمة وأضيق . لماذا يقصد جهة مجهولة مع قواد ثمل ؟

بدا البيت مثل أى بيت عتيق آخر فى الضباب . فتح الرجل الباب ووقف فى الظلام وسط الردهة ذات السقف الماهوجنى العالى . غرفة العجوز كانت على اليمين وكان بابها مغلقًا بإحكام . ورمش مورجان بعينه إذ ضم مرافقه يديه أمام فمه وصاح :

ـ « معى صحبة ! .. »

دوى صوته كالصدى لترتج منه الجدران . وشعر مورجان أن العجوز مجنون فعلاً .

من جديد صرخ العجوز :

ـ « صحبة ! .. »

كان صوته غاضبًا وقد التوى وجهه غيظًا . وقال :

ـ « هذه المرأة اللعينة .. تقضى حياتها فى النوم.. كانت تسبب لى مشاكل قبل هذا وحسبت أننى لقنتها درسًا لكن يبدو أن على تلقينها درسًا جديدًا .. »

ـ « صحبة ! .. »

ـ « هاته ! .. »

كان الصوت موسيقيًا عذبًا .. ما إن سمعه مورجان حتى قدر أنه لم يخطئ . عجوز مجنون .. بيت مجنون .. مهمة مجنونة .. لكن هذا الصوت لا شك فيه .

قال العجوز :

ـ « هيا .. أعلى الدرج على اليمين .. لن تحتاج لضوء .. »

ثم اتجه لغرفته بينما صعد مورجان فى الدرج . عندما بلغ الباب عبث فى المقبض وانتظر طويلاً محاولاً الدخول .

فجأة انفتح الباب ووجد نفسه فى غرفة نوم كبيرة بها عشرون شمعدانًا يرحب به ، وعشرون سجادة من قطيفة تعانق قدميه ، ورائحة عطرية تداعب أنفه . كان هناك عشرون سريرًا ذا أعمدة فى مركز الغرفة ولوحت له عشرون نزيلة . سقط الضوء على عشرين ملكة حمراء ذات شعر أحمر وشفتان حمراوان . هناك عشرون ذراعًا ممتدة نحوه .

تحرك عبر انعكاسات المرايا التى أظهرت ألف صورة له ، وهو يبحث عن الملكة الحقيقية . سخرت منه لأنه ثمل ومدت يدها تمسك به . وكانت لمستها كالنار .

لابد أنه رحل عند الفجر ماشيًا على أطراف أصابع قدميه . لا يذكر أنه قال لها الوداع أو أنه رأى العجوز ثانية ولا يذكر كيف عاد . لقد تركه (الأبسنتى) بصداع يشق رأسه ومذاق كريه فى الفم . الآن يتحرك كإنسان آلى .

كان المكان الذى قصده يدعى (بار المحار) . وكان ما يريده هو قهوة قوية . كان الضباب قد رحل من الشوارع لكنه ظل فى جمجمته . ولم يعرف كيف عاد إلى المعالم المألوفة . مد يده لحافظته ...

هنا وجد أن جيبه فارغ .

راح يفتش فى كل مكان لكن الحافظة ضاعت .. بطاقة الهوية .. رخصة القيادة .. الثلاثمائة دولار ..

لم يستطع تذكر ما حدث . لكنه يعرف أن (تقليبه) تم .. تم (تقليبه) على الطريقة القديمة على يد فتاة قديمة بدورها .

بشكل ما بدا هذا مضحكًا وشعر أنه استحق هذا . برغم ذلك لم يشعر بظرف الموقف ولا عدالته . لو تعلق الأمر بالعدل فإن

....

تخلى عن فكرة القهوة واتجه للشرطة . راح يحكى قصته لرقيب مناوب هناك ، ثم حكى المزيد لملازم مهذب ، وانتهى بأن حكى القصة كلها من جديد لمفتش فى ثياب مدنية وهو يمشى معه فى شارع رامبارت نحو الشرق .

لم يبد المفتش الذى يدعى(بلدن) مهذبًا على الإطلاق .

اعترف مورجان بأنه ظل يشرب الخمر طيلة الليل ، ووجد البار الذى كان فيه أمس ، لكن الساقى لم يكن فى الخدمة وأعطاه الساقى الموجود رقم هاتف زميله . كلمه المفتش فتذكر هذا أنه قابل مورجان فعلاً .

قال بيلدن الذى يفتقر للتهذيب :

ـ « يقول إنك كنت ثملاً كظربان ... وإلى أين ذهبت بعد هذا ؟.. »

ـ « مقبرة سانت لويس .. »

لكنه لم يعرف الطريق ، وقد اقتاده المفتش إلى هناك .

ـ « ثم ماذا ؟.. »

ـ « قابلت ذلك العجوز .. .. »

لكن عندما طلب المفتش وصفًا دقيقًا لم يستطع بيلدن أن يقدمه له . أراد بيلدن أن يعرف اسم العجوز وإلى أين ذهبا ولماذا . حاول مورجان أن يفسر لكن المفتش لم يبد مهتمًا وقال له :

ـ « خذنى إلى الحانة .. »

حاول مورجان الوصول إلى الحانة فلم يستطع .. فى النهاية اضطر أن يعترف :

ـ « لا أعرف .. لكنى كنت هناك ... .. »

ـ « ليكن .. إذن خذنى للبيت .. »

لمدة ساعة راح مورجان يقطع الشارع جيئة وذهابًا لكن كل البيوت بدت متماثلة .. لم يستطع تذكر البيت . فى الضوء كان كل شىء مختلفًا عما كان ليلاً . لا يوجد شىء مثير فى هذه المبانى العتيقة المملة .. لا شىء يوحى بحلم أو جمال نائم .

أدرك مورجان أن المفتش لا يصدق حرفًا . هو نفسه لا يصدق ذكريات تلك اليلة عن ستوريفيل والبيت ذى المرايا والغرفة الحمراء .. إلخ .. ربما كان للخمر دور .. لربما لفق الجزء الخاص بالعجوز . لقد أغشى عليه أمام المقبرة وجاء من سرق حافظته . هذا معقول ... معقول أكثر من تصور رحلة لعالم الأحلام .

هذه النظرية ناسبت المفتش كذلك لأنه راح يؤكدها أثناء العودة . كان مورجان يهز رأسه موافقًا وفجأة التفت للرجل وقال :

ـ « بل هذه هى الحانة !.. أنا متأكد من أنها هى ! .. »

بالفعل كانت هى ، وقد تذكر الرجل الذى كان يخدم عليه . وعرفه الرجل بالفعل وقال الرجل :

ــ « نعم .. كان هنا أمس .. جاء مع العجوز .. جاء مع (لوى) .. »

أخرج المفتش مفكرته :

ــ « لوى من ؟.. ما اسمه الكامل ؟.. »

قال الساقى :

ــ « لا أستطيع أن أقول لك .. هو مجرد رجل عجوز يعيش فى الجوار . غير مؤذ .. لكن .... »

ثم حرك يده جوار جبهته .

سأله بيلدن :

ــ « هل تعرف أين يقطن ؟.. »

من الغريب أن الساقى ذكر عنوانًا فدونه بيلدن على الفور . وقال لمورجان :

ــ « يبدو أن قصتك كانت حقيقية برغم كل شىء.. تخيل أن الفتى العجوز لديه بيت بهذه المواصفات ، وهو يديره تحت أنوفنا وهو فى هذه السن وفى هذا العصر ؟.. هذه قصة جديرة بأن تدون .. »

ومشيا نحو بناية فى شارع يبعد مربعين سكنيين . مسافة قريبة جدًا لشدة الدهشة .

لم يميز مورجان المكان جيدًا عندما وقف أمامه بينما دق بيلدن الجرس .

لوقت طويل لم يرد أحد ، ثم انفتح الباب فتحة ضيقة ورأى مورجان وجه العجوز وعينيه ترمشان فيهما .

ــ « من أنتما ؟.. وماذا تريدان ؟.. »

أخبره بيلدن بما يريد ، ففتح العجوز الباب أوسع وحدق فى مورجان .

قال مورجان :

ــ « مرحبًا .. لقد عدت .. يبدو أننى أضعت حافظتى .. »

لقد قرر ألا يوجه اتهامات فالرجل العجوز فى مشاكل تكفيه .

قال العجوز :

ــ « عـدت ؟.. مـاذا تعنى ؟.. أنـا لم أرك فى حياتى .. لم يكن هنا أحد أمس.. ما من أحد جاء هنا منذ أربعين عامًا .. أنا وحيـد .. »

سأله بيلدن وهو يخطو :

ــ « ربما سمحت لنا بإلقاء نظرة .. »

تساءل مورجان إن كان العجوز سيحاول منعه ويطلب إذن تفتيش ، لكن الرجل ضحك وفتح الباب على مصراعيه وقال وهو يسعل :

ــ « مرحبًا بكما فى (القصر)... معذرة فحلقى جاف .. »

ــ « لم يكن كذلك أمس ونحن نشرب معًا .. »

ــ « لا تصغ له يا سيد .. أنا لم أره من قبل .. »

مشيا إلى الردهة فعرفها مورجان .. أمكنه أن يرى الغبار على الأرض . بدأ بيلدن البحث فلم يستغرق وقتًا طويلاً.. لم تكن هناك أماكن كثيرة للبحث . غرفة العجوز لم تحو سوى مقعد وفراش نحاسى ومكتب مهشم . لا توجد خزانة . فلم يجد المفتش سوى دولار و14 سنتًا.

غمغم العجوز :

ــ « هل رأيت ؟.. ليست لدى حافظة .. أنا نظيف .. اسأل عنى فى المحطة واسأل كابتن ليروكس .. »

قال بيلدن :

ــ « لا أعرف أى كابتن ليروكس .. أين نحن ؟.. »

ــ « ستوريفيل طبعًا .. »

ــ « ستوريفيل مغلق منذ 45 عامًا .. أين تظن نفسك؟.. »

ــ « مكانى .. القصر .. أنا رجل محترف .. ثم جاءت المشاكل ولم تعد لدى سوى ملكة حمراء .. تنام كثيرًا جدًا ولكن بوسعى معالجة هذا .. »

استدار المفتش لمورجان وكرر حركة الجنون التى أبداها الساقى . لكن مورجان صاح :

ــ « طبعًا الحافظـــة بالطـــابق العلوى .. هى أخذتها .. تعال معى .. »

وضع العجوز يده على كتف مورجان وقال :

ــ « لا تصعد يا سيد .. كنت أخدعك فقط .. لقد ذهبت هذا الصباح وأقسم على هذا .. لابد أنها سرقتك ليلاً .. هذه من حيلها القديمة لكنك لن تجدها .. »

قال بيلدن وهو يثب الدرج :

ــ « سوف نرى بأنفسنا .. »

وتبعه مورجان .. فتعالى الغبار من الدرجات وراح مورجان يسعل . ثم سمع بيلدن يدق على الباب بالطابق العلوى . وسأل لاهثًا :

ــ « متأكد من أن هذا هو المكان ؟.. »

هز مورجان رأسه موافقًا .

ــ « مستحيل .. هذا الباب ليس مغلقًا .. إنه مختوم .. مختوم بإحكام .. »

لم يجب مورجان . راح رأسه ينبض ومعدته تتقلص . لكنه كان يعرف ما يجب عمله . اندفع نحو الباب بكتفه ليحطمه.

تهاوى الخشب العتيق ثم تطاير حول حلق الباب . وانفتح الباب .

هب الغبار من الداخل وملأ رئتى مورجان وأعمـاه . سعل وشرق لكنه تقدم داخل الغرفة .

لقد اختفى العشرون شـمعدانًا .. وكـذا العشرون سجادة والعشرون سريرًا .. وهذا لأن المرايا كانت محطمة . لم يعد هناك سوى شىء واحد من كل شىء .. شمعدان يكسوه خيط العنكبوت وسجادة ممزقة وعلبة حلى مفتوحة تفوح منها رائحة العطر القديم .. وهناك فراش ذو أعمدة محطم .

والفراش كانت فيه واحدة فقط .. هى نائمة بينما العجوز يبكى وهو ينظر من فوق كتف مورجان . نائمة دومًا ولربما اضطر لإصلاح هذا كما فعل من قبل .

رأى مورجان أنها ما زالت تلبس الثياب الحمراء لكن عدا هذا ما كان ليعرفها . الهياكل العظمية تبدو مثل بعضها .

قال بيلدن :

ــ « أية دعابة هذه بحق الجحيم ؟.. »

لم يستطع العجوز أن يجيب ؛ لأنه كان يبكى بصوت عال .. يتكلم عن الملكة الحمراء والأيام الخوالى .. لم يعد قادرًا على جعلها تصحو إلا فى الليل عندما تكون هناك (صحبة) ..

لم يستطع مورجان التفسير كذلك .. لم يستطع أن يقول شيئًا عن أرض الأحلام أو أرض الكوابيس .

كل ما استطاع عمله هو الدنو من الفراش .. رفع الجمجمة المتحللة عن الوسادة .. ومن تحت الرأس أخرج حافظته الجلدية اللامعة .

رحلة على عصا المكنسة



كان منتصف الليل قد دنا ، عندما اجتمعوا عند فوهة البركان . رفع الليل رأسه عبر السهول الوعرة وفتح القمران التوءمان عيونهما الخضر لتحدق فى أعماق الفوهة .

كانت الحفرة عميقة مظلمة .. فوربس يقف على الحافة مع زملائه وقد امتلأ رأسه بكلمات تبدأ بحرف الميم مثل (مؤلم) .. (مظلم) .. (موحل) ... (مميت) .. (ملعون).. دعك من (شيطانى) ..

خلفه فى الظلام وقف الفنيون الثلاثى يتفقدون وحدات التسجيل . الرؤية والتنصت كانا يغطيان 360 درجة على مساحة نصف ميل بتردد 20–20000 . كانت هناك عشرون عدسة تمسح الفوهة .

همس فوربس :

ــ « هل وجدتم أى شىء بعد ؟.. »

قال الفنى :

ــ « ليس بعد .. لكن لو حدث شىء .. .. »

كانت نبرة صوته توحى بأنه لا يتوقع حدوث شىء . لم يفهموا بعد هذا الذى يقومون به فى منتصف الليل . يقومون بتشغيل ميكروفوناتهم الحساسة لتسجيل الصمت . لم يستطع فوربس أن يلومهم . المفترض أن هذه مجرد رحلة روتينية .

أمرهم القائد :

ــ « سوف تتفقدون (بايريس) .. رسامو الخرائط قاموا بعمل معه ، و(دويل) سوف يعطيكم التفاصيل . المناخ شبيه بمناخ الأرض وهذا كوكب من الطبقة الأولى.. هناك تشابه فى اللغة .. نحتاج إلى تسجيلات صوتية وسمعية وتحليل عناصر . نحتاج لمسح أولى بحثًا عن احتمالات معادن تستحق التعدين . هذا مجرد فحص روتينى .. »

لم يضف دويل أكثر :

ــ « خارج الفوهات سوف تحسبون أنكم على الأرض .. منذ ألف دورة طبعًا .. السكان الأصليون يلبسون الثياب ولديهم حكومة بدائية ونظام أديان يعتمد على الطوطم والتابو . سوف تتعلمون اللغة أثناء نومكم .. »

كان دويل قد تعلم هذه اللغة أثناء النوم.. وأثار دهشته أن هذه اللغة ليست الإنجليزية لكنها تشبهها جدًا . وهناك إشارات قديمة لدرجة أنه قضى الأسبوع السابق للسفر يراجع ملفات المعلومات .

المقارنة بين الحياة على بايرس والحياة على الأرض فى عصر ما بعد الحروب ، بدت واضحة بعد هبوط فوربس . كان قد أرسل رسالة رسمية لكال (الحاكم) وطلب الإذن أن يزور الكوكب . تم تبـادل الهدايا ثم أخـذ فوربس طاقمه الفنى إلى الصحراء لدراسة الحياة فى القرى . وبقيت مجموعة صغيرة فى السفينة التى هبطت قرب قلعة كال .

لمدة ثلاثة أيام قام فوربس ورجاله بتسجيل الحياة فى المناجم والكهوف الخفية حيث يتم زراعة كل طعام الكوكب . أجرى محاورات مع الفلاحين .. هكذا كان سيطلق عليهم بلغة الأرض العتيقة .

تذكر المعتقدات الغريبة التى يؤمن بها العاملون فى بايريس . كانوا يخافون أن يحفروا كهوفًا معينة وكانوا يهمسون بأشياء لا معنى لها بالنسبة للرجـال فى طاقم فوربس . كان قـد درس الماضى العتيق على الأرض وقرأ شكسبير وسواه . ووجد بعض

النقاط المتشابهة ، مما جعله يختار ما بدا له المكان المناسب فى الوقت المناسب .

هكذا جلس القرفصاء وانتظر ما سوف يظهر من الأرض البور .

وجاء الشىء .

التقطته السماعات أولاً.. خافتًا بعيدًا . كان هناك صوت اندفاع المادة وفوقه الأصوات الحادة التى تمزق الصمت .

بدأ أحد الفنيين – ويدعى كالت – يغمغم :

ـ « اللعنة !.. ثمة أصوات .. أصوات فى الجو .. »

ثم جاءت الصورة .

بدأت الكاميرات تصوب على الهدف وتضبط بؤرتها . وراحت تسلط الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء لتصور ما لا تراه العين البشرية . ثم صارت النقاط البعيدة فى مجال الرؤية .

همس كالت لرفاقه :



— « هناك بيرانيون[*] فى السماء .. وماذا يركبون عليه ؟.. »

كان بوسع فوربس أن يخبره .. كان بوسعه أن يخبره بمن يأتون فى منتصف الليل وماذا يركبون ، لكنه فضل الصمت حتى لا يضايقهم .

منذ شهر لم يكن يعرف .. لكنه أجرى مسحًا فيلميًا ومنذ ذلك الحين عرف موضوع الساحرات.

كانوا يمتطون عصى المكانس فى يوم السبت (الساباث) ويهبطون من السماء .. ساحرات وسادة حرب وسحرة .. جاءوا لاجتماعهم السحرى ليعبدوا الشيطان .. سيد القطيع الأسود.

بالطبع كانت هذه خرافة عتيقة وأرضية كذلك . لا أساس لها فى الواقع .

لكنه يراه الآن .

كانت عصى المكانس .. تلك القضبان الطويلة .. هل كانت عصى مكانس فعلاً ؟.. حلقت فى السماء ثم هبطت فى الفوهة . هل كان هؤلاء الركاب المشعثون ساحرات فعلاً ؟.. كن يصدرن أصواتًا كالدجاج وأصواتهن تتردد من الفوهة .

(*) سكان بايرس .

توهجت النـار مـن تحـت وتصاعد لهب أزرق ، بينما الشمطاوات ينثرن الغبار على المحارق . كانت جلودهن المدهونة بالزيت تلتمع عبر الدخان .

غمغم كالت ثانية :

— « اللعنة .. »

فقد كان فنيًا معاصرًا . وقدر فوربس أن الرجل لا يعرف معنى هذه الكلمة .. كان مجرد مصطلح شائع . فى الماضى كانت مجرد سبة ، أما قبل ذلك بأعوام عديدة فقد كانت تعبر عن حقيقة .. كان هنـاك أناس ملعونون باعـوا أرواحهم للشـيطان وكان الملاعين يرقصون حول النار ويغنون.

وهم يرقصون الآن ..

عرف فوربس هذا الطقس.. تذكر الدهان على الأجساد العارية .. إنه مزيج من البلادونا والأكونيت وعقارات أخرى منسية . عرف كذلك الأغانى التى يغنونهـا . بالطبع لا يعبـدون الشيطان ، وبوسعه فيما بعد أن يدرس الملفات الصوتية بعناية ، لكنه الآن يلتقط كلمة تشبه كلمة (ساير Sire) .

فيما عدا هذا كان كل شيء مألوفًا.. بشكل مخيف . عندما خرج الشيء من الظلال وهو يلبس قلنسوة عليها قرنان ، تذكر فوربس سيد السابات الذى كان يلبس عباءة الجدى أو قرنى الوعل الأسود . هنا يدعى الحيوان (كورت) وهو الحيوان الوحيد الذى يمشى على أربع فى (بايريس) .

كان سيد السابات هذا يقود الإنشاد الآن . وقد جلبوا له (كورت) فجرد سكينًا واستصفى دمه ، ثم شرب الجميع منه وتعالى الدخان مع عواء الأصوات ..

ظهر (التيمرار).. لقد عرف فوربس جنود (كال) هؤلاء وهم ينهضون على حافة الفوهة . عرف دروعهم ورماحهم وسيوفهم ..

كانوا يطلقون سهامهم عبر الدخان .. وتسلق رجال كال جوانب الفوهة ، بينما ولولت العجائز .

هنا جاءت صرخة أخرى من الخلف .

استدار فوربس لكنه تأخر ، فقد كان هناك حشد آخر من (التيمرار) يزحفون فى الظلام ليحيطوا بطاقمه . وانهالوا

بسيوفهم ليس على الرجال لكن على المعدات والآلات .. وسرعان ما تحولت أجهزة التسجيل لحطام .

وقف القائد فارع القامة الذى تشبه لحيته الرمح أمام فوربس ووضع يده على قلبه محييًا ، وغمغم :

ـ « عليك أن تتبعنى .. تلك رغبة (كال) .. »

سـمع فوربس (كالت) يحتج فقاطعه . تذكر أنه ضيف على ثقافة غريبة وبدائية . لقـد دمرت التسجيلات ومن الممكن أن يدمر هو نفسه كما ستدمر الساحرات ..

ألم تكن هناك فى التوراة القديمة كلمات تقول :

« لا تدع ساحرة تعيش .. » ؟

من الغريب أن هذا التشابه قائم.

وقد وجد المزيد من التشابهات بينما هم يقتادونه ورجاله على ظهور (الكورت) ، عبر السهل المظلم . كان بوسعه أن يغمض عينيه ويتخيل أنه نقل عبر الزمان والمكان إلى الأرض . موكب الفرسان المدرعين العائدين للقلعة .. عالم آخر .. عالم من الغزاة والعوام .. من العظمة والسحر

شعر بسخرية مريرة .. ضربة بسيطة بسيف بدائى قد قضت على أذكى آلات ابتكرها عقل الإنسان .

ربما قد تعامل بخفة مع كال .. بالتأكيد قوم هذا الكوكب يخافون حاكمهم . يعبدونه كإله وقد منحوه ولاءهم وضرائبهم وبناتهم . إذن لابد أن المدعو (ساير) هذا أقرب للشيطان . لابد أنه الخصم السياسى الأول لكال .. ولهذا يطارد الجنود الساحرات.

الآن وصلوا للوادى الذى تقع فيه قلعة كال . القلعة العظيمة كانت شامخة بين جدران من الصخر وقد ارتسم سلويتها على السماء . وشق الموكب طريقه عبر شوارع ضيقة نحو القلعة ذاتها .

وفى إحدى قاعات الانتظار المنحوتة من حجر وجد فوربس (سيدونس) الملاح الفضائى ، وباقى أعضاء الطاقم .

قال سيدونس :

ـ « جاءوا لنا منذ ساعة .. لم يرغمونا على الدخول ، لكنهم طلبوا فلم نقاوم . هناك حراس حول سفينة الفضاء لكن لم يحاول أحدهم الدخول أو يفكر فى ذلك .. وهذا شىء لا أفهمه .. »

تظاهر فوربس بالثقة :

ـ « سوف نفهم كل شىء متى قابلت كال .. »

هنا ظهر المحارب فارع القامة وقال :

ـ « الكال سوف يراك .. »

واقتاد فوربس وحده وأشار للآخرين كى يبقوا حيث هم .

مشى فوربس وراءه عبر ممر طويل ثم توقف إذ أشار له إلى باب صغير.

فتح فوربس الباب وخطا للداخل ليواجه كال.

كان الرجل البدين صغير الحجم يجلس خلف منضدة عملاقة . وكان يمسك بشىء فضى ، وضعه بين ثنايا كمه ثم هز رأسه فى وجوم لفوربس .

ـ « جئت بكم هنا لحمايتكم .. فحياتكم فى خطر داهم .. »

ـ « من أى شىء ؟.. »

ـ « من الرالى .. أو كما تسمونهم (الساحرات) .. »

ـ « ولماذا يؤذوننا ؟.. »

ــ « لأنكم تتهددون طريقتهم فى الحياة .. وما لم ترحلوا سوف يدمرونكم . كانت طقوسهم الليلة تهدف لاستدعاء (ساير) .. الشيطان .. »

ابتسم فوربس وقال :

ــ « لكن هذه خرافات .. لا يمكنهم أن يؤذونا بتعاويذ .. طبعًا أنت لا تصدق أن الرابى يمكنها أن تؤذى إنسانًا بغرس إبر فى تمثاله أو إذابته فى النار .. »

كان صوت الكال كوجهه شديد الغموض :

ــ « ليس السؤال هو ما أعتقده .. السؤال هو ما يعتقده قومى .. أليس صحيحًا أنه وجد قوم يؤمنون بالسحر على الأرض يومًا ما ؟.. »

قال فوربس فى تردد :

ــ « حقًا .. لكن كيف لك أن تعرف ؟.. »

ــ « لأن ألرالى لديهن أسطورة .. وهذه الأسطورة تقول إن سكان كوكبنا جاءوا أصلاً من الأرض . .. »

ــ « أرضنا ؟.. »

ــ « بالضبط .. ألم تلحظ تشابه اللغتين وتشابه نظام الحكم مع أيامكم القديمة ؟.. أليست عبادة الرالى لساير شبيهة بعبادة الساحرات للشيطان عندكم ؟.. أنا لست البربرى الجاهل الذى تحسبه .. أنا أبدو كذلك باختيارى .

« القصة تقول إنه منذ زمن سحيق كانت الساحرات يعدمن ويشنقن ويمزقن لأنهن يؤمنن بالشيطان . كانت هناك مجموعة مهددة بالانقراض على كوكبكم وقد طلبت من الشيطان أن ينقذها . حقق مطلبهم .. هكذا ركبن مقشاتهن وجئن هنا إلى (بايريس) .. »

قال فوربس :

ــ « الأساطير ممتعة دومًا .. إنها تقدم حلولاً . لكن لدى أسطورة أخرى .. منذ زمن على كوكبى كان العلم يعامل كالسحر وكان العلماء قابلين للإعدام مثلهم مثل الساحرات . الآن تخيل أن رجلاً استطاع أن يصل لقوانين الذرة والسفر فى الفضاء ، من ثم حاول تجنب العداء ضده ، وبنى سفينة فضاء جاء بها هنا . ثم جاء أحفاده فاختلقوا هذه الأسطورة ليسيطروا على الناس .. »

هز كال كتفيه :

ــ « هل تجد هذه النظرية أكثر جاذبية من نظرية السحر ؟.. »

« على الأقل هى منطقية .. أعتقد أن الرالى يفهمونها .. رأيتهن يركبن مقشات لاجتماع الليلة وإننى أعتقد أن هذه المكانس فيها محركات .. »

قال الكال :

ــ « أرى أنه لا أسرار مع العقول العلمية ، لكننى أطلب منك الرحيل لمصلحتك .. الرالى يخفنكم وربما يتخذن إجراءات درامية .. »

هز فوربس رأسه :

ــ « يمكننا الرحيل حالاً لو أطلقت سراحنا .. »

ــ « سوف نرافقكم للسفينة.. لكن هل من شىء تريدونه أو خدمة تبغونها ؟.. »

ــ « لا .. شكرًا .. فقط أنا آسف .. آسف لأن هناك عالمًا يعيش فى هذه الحالة البدائية المتوحشة .. ما زالت الخرافة وما زال الجهل يحكمان الناس .. »

تحسس الكال لحيته وقال :

ــ « افترض أن العلم لا يتعارض مع السحر ، وأن الشيطان أو ساير لهما وجود . افترض أنه على العلم أن يخضع للسحر وإلا تم تدمير كل شىء .. »

ابتسم فوربس وقال :

ــ « تعرف أن هذا هراء .. لا أستطيع أن أقبل هذا .. »

ــ « برغم هذا سترحل وتتركنا لهذا التخلف ؟.. »

ــ « ليس لدى الخيار .. »

هز الكال رأسه وقال :

ــ « ليكن .. »

اتجه فوربس للباب بينما تكلم الكال مع التيرمار وطلب حراسة الطاقم حتى يبلغوا سفينتهم .

انغلق الباب وصار الكال وحده فى الغرفة . نظر للهب فى المجمرة ثم أخرج الجسم المتألق من كمه من جديد . راح يقلبه بين يديه ثم تفحصه .

بعد فترة انفتح الباب ودخل واحد من رجال بايريس وهو يلبس قلنسوة عليها قرنا الكورت .

سأله كال :

ـ « هل رحلوا ؟.. »

ـ « عادوا للسفينة وسوف يرحلون حالاً .. »

قال الكال :

ـ « آسف عما حدث الليلة .. أرجو ألا يكون التيمرار قد آذوا أحدًا لكن كان عليهم أن يبدوا مقنعين . لو شكت الأرض فى أن الحكومة والرالى يعمــلان معًا فلســوف يعودون . أعتقــد أننا خدعناهم .. »

ظل ذو القلنسوة واقفًا كأنه يصغى ثم غمغم :

ـ « أشعر بهم الآن .. يمكن أن أشعر بالمدعو فوربس على السفينة . هو يفكر فى تقريره . سوف يطلب حملة أخرى تأتى هنا . يريد أن يجلب حكومة من كوكبه تعمر بايريس . لقد فشلت خطتك .. »

نهض الكال :

ـ « أنا آسف ... حاولت أن أنقذهم .. لقد كنت صادقًا معهم بصدد طريقة وصولنا لبايريس وقوة السحر . لكنه لم يصدق .. فضل أن يفكر فى الأمر كأنه علم يتنكر فى شكل أسطورة .. »

قال ذو القلنسوة :

ـ « إذن ينتهى الأمر بطريقتى أنا .. نحن نعمل معًا .. الرالى والتيمرار فى نفس الفريق ، برغم أن الناس لا يعرفون . نحن نبقى هذا الكوكب فى حالة جهل ونبعدهم عن التحضر والعلم . لأنه إذا ظهر العلم فلسوف تتوقف عبادة الشيطان . بينما نحن قدمنا العهد له بأن نعبده للأبد . إذن لن نسمح لفوربس هذا بالعودة ليحضر علمه الملعون . يجب أن نقوم بالأمر بطريقتى .. »

ناوله كال الجسم الفضى وهمس :

ـ « هل حان الوقت ؟.. »

هز المقنع رأسه وقال :

ـ « السفينة أقلعت .. أشعر بها الآن .. آلاف الأميال .. »

وانحنى على المجمرة واللهب يتعالى . ثم قذف بالجسم وسط اللهب . تعالت الألسنة بسرعة . وخلال لحظة ذاب الشىء .

همس كال :

ـ « ماذا سيحدث الآن ؟.. »

ـ « عشرة آلاف ميل فى الفضاء .. الآن .. »

وعلى ارتفاع عشرة آلاف ميل من بايريس انفجرت السفينة وذابت لتصير لا شىء.

وعلى الكوكب غمغم كال فى حزن :

ـ « كان علينا أن نفعل ذلك .. أليس كذلك ؟.. كان علينا أن ننقذ كوكبنا من العلم ؛ لأن العلمـاء لا يؤمنون بقـوة الشر .. لا يعتقدون أن بوسعك القتل بغرس الإبر فى صورة ، أو حرق تمثال فى نار مشتعلة .. »

مستر شتاينواى



عندما رأيت ليو أول مرة حسبته ميتًا .

كان شعره أسود جدًا وبشرته شاحبة جدًا ، ويداه بيضاوين جدًا .. لم أر هذا الشحوب قط فى شخص حى . كانت يداه على صدره تحجبان تنفسه .. وكان هناك شىء منفر فيه . كان نحيلاً ساكنًا وهناك خواء فى وجهه . كأنه قناع الموت الذى صنعوه متأخرًا جدًا بعد ما تلاشت آخر بقايا شخصيته الحية . نظرت لليو وهززت كتفى ثم بدأت أبتعد.

هنا فتح عينيه فوقعت فى حبه.

جلس وأنزل قدميه من على الأريكة العملاقة ، وضحك لى ونهض . أعتقد أنه فعل هذا . كل ما لاحظته هو لون عينيه البنيتين والذى وجد مكانًا ما فى قلبى .

أعرف كيف يبدو لك الأمر .. لكنى لست تلميذة وليست لدى مذكرات ، وقد مرت أعوام منذ كنت مجنونة بحب أحدهم . كنت متأكدة من نضج عواطفى لبعض الوقت .

لكنه فتح عينيه فوقعت فى غرامه من اللحظة الأولى .

كان هارى يقدمنا لبعضنا الآن ..

ـ « دوروثى إندكوت .. سمعتك تعزف فى دترويت الأسبوع الماضى وأرادت لقاءك .. دوروثى .. هذا هو ليو ونستون .. »

كان فارع الطول وقد أحنى رأسه دون أن يبعد عينيه لحظة . لا أعرف إن كان قد قال (تشرفنا) أو (مسرور) .. لا يهم .. كان ينظر لى .

فعلت كل شىء بالطريقة الخطأ.. احمر وجهى .. قهقهت .. قلت إننى أحترم عزفه ثم كررت ما قلت .

لكنى فعلت شيئًا واحدًا صحيحًا .. ظللت أبادله النظرات بينما هارى يشرح كيف مررنا ولم نرد مضـــايقته ، لكن الباب كان مفتوحًا فدخلنا . وكان يريد أن يخبر ليو كذلك بأن مبيعات التذاكر لحفل الغد ممتازة وعليه أن يعد الأخبار التى ستنشر فى صحف الغد .. إلخ ..

ـ « لا داعى للاستعجال .. ما رأيك يا مس إندكوت ؟.. »

بالفعل كنت أرى أنه لا داعى للاستعجال . هكذا رحل هارى كالسامرى الصالح ، بينما بقيت أنا مع ليو نتكلم

لا أعرف فيما تكلمنا .. فى القصص فقط يتذكر الناس المحادثات الطويلة (بالحرف).. كذلك فى القصص فقط يسيطر الناس على قواعد اللغة.

لكنى عرفت أن اسمه كان (ليو فاينشتاين) قديمًا ، وكان فى الواحدة والثلاثين .. غير متزوج .. يحب القطط السيامية وكسر رجله ذات مرة .. يحب فطائر مانهاتن التى تطهى بالفيرموث .

حكيت له كل شىء عن نفسى ثم سألنى عما إذا كنت أرغب فى لقاء مستر (شتاينواى) .

بالطبع قلت نعم .. هكذا دخلنا إلى الغرفة الأخرى التى تقع وراء الباب المنزلق . هناك جلس مستر شتاينواى أسود اللون يلمع بدرجة رائعة مكشرًا عن أسنانه الثمانية والثمانين .

ــ « هل ترغبين فى أن تسمعى مستر شتاينواى يعزف لك شيئًا ؟.. »

هززت رأسى وشعرت بما يفوق تأثير كأسين من المانهاتن . لم أشعر بهذا منذ كنت فى الثالثة عشرة واقعة فى حب بيل برنتيس .

جلس ليو على المقعــد وربت على مستر شتاينواى بنفس الطريقة التى أربت بها على قطى السيامى (أنجور) . عزف لى مقطوعــة (أباشيوناتا) ومقطوعة غريبة لبروكفييف . اعتقد أن ليو أراد استعراض براعته ، ولربما هى فكرة مستر شتاينواى . لكنى أحببت هذا كله .

قال ليو :

ــ « أنا سعيد لأنك أعجبت بمستر شتاينواى.. إنه حساس جدًا وهو معى منذ زمن بعيد .. أحد عشر عامًا .. كان هدية من أمى بعد ما قدمت العرض الأول فى قاعة كارنيجى .. »

وقف ليو .. كان قريبًا جدًا منى لأننى كنت أجلس على مقعد البيانو جواره ، وهكذا استطعت أن أرى عينيه بوضوح أكثر . كان يقول لمستر شتاينواى :

ــ « حان الوقت لبعض الراحة قبل أن يأتوا ليأخذوك .. »

سألته :

ــ « ما المشكلة ؟.. هل مستر شتاينواى مريض ؟.. »

ــ « البتة .. أعتقد أنه فى أفضل حالاته .. »

وضحك (كيف ظننته ميتًا وهو يتمتع بكل هذه الحيوية ؟) ونظر لى قائلاً :

ــ « إنه ذاهب معى للكونشير الليلة .. لديه دور يلعبه معى .. وهذا يذكرنى : هل ستكونين هناك ؟.. »

كدت أقول له (أيها الولد السخيف) ثم سيطرت على نفسى ، والسيطرة على النفس لا تأتى بسهولة مع ليو .. ليس عندما ينظر لى بهذا الشكل ، وأنامله تتحسس مفاتيح البيانو ..

هل أنا واضحة ؟

بالطبع كنت شفافة تمامًا فى الليلة التالية . بعد العشاء خرجنا نحن الأربعة فقط .. هارى وزوجته وليو وأنا . ثم جلست مع ليو وحدنا من دون مستر شتانواى نرقب النجوم فوق سنترال بارك ، ثم راقب كل منا انعكاسه فى حدقة الآخر .

فى اليوم التالى خرجنا فى نزهة فى الحديقة . انتظر ليو حتى أعادوا مستر شتاينواى للشقة ، وكانت الحديقة جميلة كالعادة . لابد أنها كذلك فى ذاكرة كل من مشى فى سنترال بارك فى مايو وشعر أنه يملكها كلها . الأشجار والشمس وصوت الضحكات يعلو ويهبط مع دقات قلبك .

لكن ..

قال ليو وهو ينظر لساعته :

ــ « أعتقد أنهم فى الطريق . يجب أن أكون هناك وهم ينقلونه.. مستر شتاينواى كبير لكنه رقيق فى الواقع .. »

أخذت بيده وقلت :

ــ « لنذهب إذن .. »

قطب وأنا لم أره يقطب من قبل ، وقال :

ــ « أعتقد أن عليك ألا تأتى يا دوروثى .. إنها عملية شاقة فى صعود تلك الدرجات ثم سيكون على أن أتدرب . لا تنسى .. عندى عزف فى بوسطون الجمعة القادم وهذا يعنى أربع ساعات كل يوم .. يجب أن أكون و شتاينواى بكامل لياقتنا .. سوف نعزف سيمفونية (ريفل) المخصصة لليد اليسرى ، ومستر شتاينواى لا يحب (ريفل) جدًا . دعك من أنه راحل صباح الأربعاء لذا لا يوجد وقت كاف .. »

ــ « لكنك لن تأخذ البيانو فى جولتك .. أليس كذلك ؟.. »

ـ « بالطبع .. حيثما ذهبـت يذهب مستر شتاينواى .. لم أستعمل أية أداة منذ أعطته لى أمى . لن أشعر براحة . سوف أحطم قلب مستر شتاينواى .. »

عندى منافس كما هو واضح . وقد ضحكت لذلك بينما عاد هو لشقته ، وعدت لدارى لأنام وأحلم .

حاولت الاتصال به فى الخامسة فلم يجب . انتظرت نصف ساعة ثم استوقفت أقرب سحابة وردية طرت بها إلى شقته.

كما هى عادة أمـــه ، كانت الشقة مفتوحة . وقد استغللت الفرصة لأدخـــل على أطـــراف أصابعى وأفاجئ ليو . تصورته يعزف غارقًا فى عمله . لكن مستر شتاينواى كان صامتًا .. وكان الباب المنزلق الذى يقود للغرفة الداخلية مغلقًا ففتحته . وهنا كانت المفاجأة ..

ليو ميت من جديد .

كانت عيناه مغلقتين وجلده شاحبًا شبه شفاف . حتى قلبه بدا متوقفًا .

ـ « دوروثى .. »

ـ « الجمال النائم بالعكس !.. »

قلتها فى انتصار : « ماذا هنالك يا حبيبى ؟... متعب بعد البروفة ؟.. »

استطعت أن أرى تقطيبته .

ـ « هل أفزعتك ؟.. »

كان هذا سطرًا من سطور الأفلام حرف (ب) لكن الموقف كان من مواقف الأفلام حرف (ب)(*) . الموسيقار العبقرى الشاب الباحث عن المجد ممزق بين حبه وبين عمله . ينهض ويمسك بكتفى بينما تقترب الكاميرا فى حركة بان.

يقول :

ـ « دوروثى .. هناك شىء يجب أن نتكلم عنه .. »

كنت على حق .. المحاضرة قادمة عن أن الفن يأتى أولاً .. الحب والفن لا يتفقان .. شعرت بغضب عظيم . لكننى انتظرت حتى أسمع ما سيقول .

(*) الأفلام الرخيصة متواضعة القيمة الفنية

قال لى :

ــ « دوروثى .. ماذا تعرفين عن العلوم الشمسية ؟.. »

ــ « لم أسمع حرفًا عنها .. »

ــ « هذا لا يدهشنى .. لا شىء فى علوم الباراسيكولوجى نال قبولاً عامًا ، لكنه يعمل .. سوف أشرح منذ البداية .. »

وراح يتكلم .. يتكلم لمدة ساعة .. لكنى فهمت القليل ..

كانت أمه مهتمة بالعلوم الشمسية . لابد أن المبدأ قريب من اليوجا وباقى العلوم العقلية . كانت تمارس التجارب قبل موتها بعام .. وبعد موتها بأربعة أعوام عمل ليو وحده . جزء من هذا النظام الدخول فى سِنة .. إنه التركيز .. لكنه جهد للتركيز لا يُبذل فيه أى جهد . يجب أن يدرك المرء ذاته تمامًا . يمكنه التفاهم مع أعضائه وخلاياه وذراته .. كل شىء فيه طاقة ذبذبة لهذا هو حى . الشخصية تكتسب التوافق التام عندما يتم الاتصال التام .

كان يتدرب أربع ساعات يوميًا مع مستر شتاينواى . هذا حقق له المعجزات . نال الاسترخاء .. كانت هذه هى الإجابة العظمى .. تمدد وعيه .. لكنه سيخبرنى بهذا فيما بعد .

ماذا أعتقد ؟

بصراحة لا أعرف .. ككل إنسان آخر أسمع الكثير لكن أصغى للقليل . سمعت عن التخاطر والاستقبال الخارق للحواس ، وربطت بين هذه الأمور والنسوة العجائز المجنونات اللاتى يتلوين أثناء جلسات تحضير الأرواح.

كان من الغريب أن أسمع هذا الكلام من ليو ، وأن يقول لى إن التأمل هو الشىء الوحيد الذى حفظ له عقله بعد وفاة أمه.

قلت له إننى أفهم ، لكن لا نية لى فى التدخل فى حياته .. كل ما أريد هو أن أكون معه وله . هناك مكان لى فى حياته.

صدقت هذا برغم إننى لم أكن أراه إلا ساعة واحدة فى المساء قبل كونشير بوسطون .

طرت لبوسطون وكان ليو مذهلاً.. وعدنا معًا من دون أن نتكلم عن العلوم الشمسية أو أى شىء سوانا .

لكن صباح الأحد عدنا ثلاثة لأن مستر شتاينواى عاد .

هرعت لشقتى وعدت بعد الغداء . كانت سنترال بارك تتوهج فى الشمس فشعرت بجزء من بريقها

سمعت مستر شتاينوای يزأر ويهدر ويقر ويضحك .. فهرعت لليو هنا توقف العزف من البيانو .

قطب .. يبدو أننى صرت موهـوبة فى الدخول على غير انتظار .

قال :

ــ « لم أتوقعك بهذه السرعة .. كنت أجرب شيئًا جديدًا .. »

ــ « سمعت هذا ... .. »

ــ « هل تريدين الخروج عصرًا ؟ .. »

ــ « لا يا عزيزى .. بصراحـة لـم أرد أن أقاطعـك .. هلم استمر .. »

هز رأسه ونظر إلى مستر شتاينوای . فسألته :

ــ « هل يضايقك أن أتواجد وأنت تتدرب ؟.. »

لم ينظر لى فقلت :

ــ « سوف أرحل .. »

ــ « أرجوك .. ليست مشكلتى .. فقط أعتقد أن مستر شتاينوای لا يميل لك كثيرًا .. »

هذا جعلنى أفقد أعصابى فقلت بغضب :

ــ « انتظر .. هل هذا مشهد من مسرحية ؟.. هل هذا نوع من العلوم الشمسية ؟ وهل على أن أفترض أن مستر شتاينوای حى ؟.. أعترف أننى لست ذكية أو حساسة بحيث أبلغ حساسيتك .. بالنسبة لى مستر شتاينوای مجرد بيانو آخر .. وأرجله لا تقارن برجلى .. »

ــ « دوروثى .. أرجوك .. »

ــ « دوروثى لا تريد البقاء لحظة مع جاثومك هذا .. قل لمستر شتاينوای أن بوسعه أن يذهب للجحيم .. .. »

بشكل ما أخرجنى من الشقة للشمس .. للحديقة . كان صوته ناعمًا . قال لى :

ــ « لم تكونى مخطئة جدًا يا عزيزتى .. أعرف أن هذا صعب على كل من لم يدرس العلوم الشمسية ، لكن مستر شتاينوای حى .. يمكنه الاتصال بى ويمكننى الاتصال به .. »

ــ « هل تكلمه ؟.. »

ضحك وقال :

ــ « بالطبع لا .. إنه تواصل روحى .. لا أريد أن أبدو كمحاضر لكن هذا علم وليس خيالاً . ألم تفكرى قط فيما يكون البيانو ؟.. إنه مجموعة معقدة من العناصر . مئات العمليات المعقدة .. فى النهاية يقترب الأمر من صنع الروبوت الموسيقى .. هناك 12 نوعًا من الخشب من أعمار عدة . هناك خامات حيوانية وورنيش ومعدن وعاج .. وكل عنصر له ذبذبته الخاصة .. هذه الذبذبات يمكن أن تشعر بها وتسمعها وتفهمها.. .. »

كنت أصغى لأننى أردت أن أجد بعض السلام والمنطق فى هذا كله . أردت أن أصدق لأن من يتكلم هو ليو.

ــ « الآن شىء جديد هو لب الموضوع .. عندما تحدث الذبذبة يضطرب التكوين الكهربى .. هناك تتابع من الأفعال.. لو سجلت عدة رسائل على شريط بسرعات مختلفة ، فعليك أن تشغلى الشريط بذات السرعات لفهم الرسالة . العجز عن ذلك يجعلك عاجزة عن فهم هذه الرسائل . لهذا لا يشعر مجتمعنا بهذه الجوامد ويحسبها خالية من الحياة .

« بما أننا نقيس الذكاء بالمخ فإننا نجهل كل شىء عن ذكاء أشكال الحياة الأخرى . لا نتصور أن الصخور والأشجار وكل شىء يفكر .. هذا ما علمنيه العلم الشمسى .. صار بوسعى التفاهم مع هذه الأنماط .. هذا ليس سهلاً . من الطبيعى أن يكون مستر شتاينواى الذى هو جزء من حياتى ، موضع هذه التجارب . قمت بالتجربة ونجحت .. يمكننى التفاهم مع مستر شتاينواى وليس هذا فى اتجاه واحد . تذكرى ما قالته التوراة عن (موعظة الصخور) .. هذا صحيح حرفيًا .. »

بالطبع قال أكثر من هذا لكننى فهمت الفكرة .. ليو لم يكن عاقلاً جدًا .

ــ « إنه كينونة وظيفية كذلك يا عزيزتى .. مستر شتاينواى له شخصية .. وهى تنمو . عندما أتدرب يتدرب هو .. عندما أعزف يعزف هو ... بل هو من يعزف فعلاً بينما أنا أبدأ الميكانيزم . لست أخدعك لكن هناك ألحانًا يأبى مستر شتاينواى أن يعزفها . هناك قاعات لا يحبها .. إنه فنان متقلب المزاج .. لكنه عظيم !.. وأنا أحترم موهبته .. »

« هبينى فرصة يا عزيزتى ، لأتصل به حتى يفهمك ويعرف مكانك فى حياتنا . سوف أقهر غيرته .. دعينى أجعله يعتاد وجودك وذبذباتك .. لا تعتبرينى مجنونًا من فضلك .. هذه ليست هلوسة .. »

وقفت وقلت :

ـ « ليكن يا ليو .. الباقى متروك لك .. لن أراك ثانية إلى أن ترتب شيئًا .. »

وراح كعبى العالى يضرب الطريق فلم يحاول اللحاق بى . غطت سحابة الشمس كأنها خرقة متسخة . متسخة ممزقة ..

بالطبع ذهبت لهارى فهو مدير أعمال ليو لكنه لم يعرف أى شىء . وغادرت المكان قبل أن يقول أى شىء . بالنسبة لهارى كان ليو سليمًا تمامًا .

ـ « إلا لو فكرت فى موضوع أمه . موت العجوز هزه بقسوة فهى كانت تدير له كل شىء .. عندما ماتت فقد توازنه لكنه على ما يرام الآن . إنه فتى طيب .. »

هذا ما حصلت عليه من هارى وهو لم يكن كثيرًا .. أو ربما هو كذلك ؟

كنت أفكر فى (ليو فاينشتاين) وأمه المحبة .. كانت ترعاه وتتأكد من أنه يتدرب ويقوم بالبروفات .. كانت تنظم حياته . وعندما خرج للجمهور أول مرة أهدته مستر شتاينواي.

لقد انهار عندما ماتت .. انهار حتى عاد لهديتها .. لقد سيطر مستر شتاينواى على كل شىء فهو ليس مجرد بيانو . لقد صار بديلاً للأم .. امتدادًا لعقدة أوديب .. أليس هذا اسمها ؟

كل شىء يتضح الآن .. ليو على الأريكة يبدو كأنه ميت وفى خياله يعود لدفء الرحم . يحاول الاتصال بأمه فى القبر.

هذا هو كل شىء .. لابد أنه كذلك ..

حبل يربطه بالأم وحبل يربطه بالبيانو.. عقدة (جورديان)(*) وأنا بلا سلاح .

بلغت شقتى وقد اتخذت قرارى : ليو صار خارج حياتى .. عندما ...

كان ينتظرنى فى الردهة .

(*) تعبير غربى شائع ، ويعـود لأسطورة قديمة عن الإسكندر الأكبر الذى لم يستطع فك عقدة فقطعها بسيفه ، وبمعنى آخر الحلول الجذرية العنيفة للمشاكل .

من السهل أن يكون المرء منطقيًا .. حتى يظهر هذا الشخص ويعدك بأنك ستبقى معه للأبد وأن الأمور ستتغير . يقول لك إنه لن يطيق الحياة من دونك . لقد قال كل شىء ..

يجب أن أكون واضحة دقيقة الآن .. من المهم أن أكون دقيقة . يجب أن أقول كيف كانت الأمور عندما ذهبت فى العصر التالى إلى شقته .

كان الباب مفتوحًا فدخلت . بدا لى كأننى أعود لبيتى . رأيت أن الأبواب المزلقة مغلقة ، فلما دنوت سمعت الموسيقا .. كان ليو ومستر شتاينواى يعزفان ثانية .

سأعتبرها موسيقا ، لكنها لم تكن أكثر من صرخة ألم فى حلق .. صوت يصلنى على شكل ذبذبات وللمرة الأولى شعرت بأننى أفهم ما تكلم عنه ليو .

سمعت صياح الأفيال وأنين الأغصان فى هواء الليل وتهشم الخشب . صرير المعدن وصوت ورق الصنفرة المزعج . مستر شتاينواى كان حيًا .

فتحت الباب فتوقف العزف .. لكن مستر شتاينواى كان هناك وحده .

نعم . كان وحده .. رأيته بوضوح كما رأيت ليو فى ركن الغرفة البعيد ونظرة الموت على وجهه.

لم يستطع أن يهرع فى الوقت المناسب ليجلس خلف البيانو .

هززت ليو فعاد للوعى فرحت أبكى بين ذراعيه ، وأنا أحكى له ما سمعته . فكان يقول :

ـ « هذا حدث .. أنت رأيته .. أليس كذلك ؟. مستر شتاينواى حى .. إنه شخصية مستقلة قادرة على الاتصال . عندما أغيب يتولى هو زمام الأمور .. »

حاولت أن أخفى الخوف فى عينى .. حاولت أن أزيله من صوتى عندما تكلمت . وقلت له :

ـ « تعال للغرفة الأخرى يا ليو ولا تسأل عن شىء .. »

لم أرد أسئلة لأننى لم أرد أن أخبره أننى خائفة من الكلام فى وجود مستر شتاينواى . مستر شتاينواى يسمع .. وهو يغار.

قلت لليو :

ـ « يجب أن تتخلص منه .. لا يهمنى إن كان حيًا أم نحن مجنونان .. تخلص منه .. هذا ما يهمنى .. »

هز رأسه لكنى لم أرد هزات رأس.

ــ « اسمع يا ليو .. هذا هو الشىء الوحيد الذى سأطلبه منك . هل تأتى معى اليوم ؟.. سأتصل بهارى وأقول له أى شىء فليس لدينا وقت .. »

نظر لى ليو وبدأ الموت يغزو وجهه من جديد . شهقت بعمق وانتظرت أن يبدأ الصوت من جديد . لكن عينيه قابلتا عينى ثم عاد اللون لوجهه وابتسم لى . وقال :

ــ « أراك بعد عشرين دقيقة مع حقيبتك .. »

هرعت عبر الدرج شاعرة بأننى أسيطر على الموقف .. حتى سمعت ذبذبات كعبى . صوت الإطارات على الأسفلت وأسلاك الهاتف تهتز فى الريح . ثم بدأت أدرك أننى أسمع صوت المدينة .

هناك فزع لدى الأسفلت وحزن لدى الخرسانة . الخشب يتعذب وهو يتهشم . من حولى شعرت بالموجات .. الموجات الأبدية تصب حياتها .

كان العالم حيًا ... كان يجاهد كى يحيا .. الطريق حى .. واللافتة أفعوان طويل .. المفتاح يدمى القفل عندما يوضع فيه ..

السرير يئن عندما وضعت حقيبتى فوقه .. أحمر الشفاه ينزف لأن شفتى آذته . لن أستطيع أن آكل ثانية ..

نظرت لساعتى وحاولت ألا أسمع أنين وبكاء الزنبرك وعواء العقارب . عشرون دقيقة .

لقد مرت أربعون دقيقة وأنا لم أتصل بهارى بعد ..

العودة للشارع كانت أكثر مما يتحمله إنسان من لحم ودم . هرعت لشقة ليو فوجدتها مظلمة .

كل شىء كان مظلمًا ما عدا أسنان مستر شتاينواى التى تلمع كأنياب أفيـال فى غابة مــن الأبنوس . ما كان بوسع ليو أن يزحزح البيانو مــن الغرفة الداخليــة إلى الخارجية . مستر شتاينواى يكره شوبان .. ما كان ليجلس هناك فى الظلام يعزف (مارش الجنازة) .

كانت أقدام مستر شتاينواى مبللة .. اصطدمتْ بى لأنه كان يزحف عبر الغرفة ، وهو مستمر فى العزف . نظرت للأرض فرأيت جثة ليو .. كان ميتًا حقًا هذه المرة . السيطرة كلها مع مستر شتاينواى الآن . لديه القوة كى يعزف .. كى يقتل ..

نعم.. حككت العلبة وحررت شيطان الكبريت فأمسك اللهب به ، وغاب صوت مستر شتاينواى وهو يصرخ ويضرب أسنانه الثمانية والثمانين . أعترف أننى أشعلت النار .. أعترف أننى قتلت مستر شتاينواى .

لكنى لم أقتل ليو .

لم لا تسألهم ؟.. احترقوا لكنهم يعرفون .. اسأل الأريكة والسجادة ... اسأل الصور على الجدار . يعرفون أننى لست مذنبة.

يمكنك عمل هذا لو فعلت مثلى .. أنا أسمع ما يقولون فى هذه الغرفة . أفهم الجدران والباب.

ليس لدى شىء أكثر أقوله . لو لم تصدقنى ولم تساعدنى فلترحل . دعنى أجلس هنا وأصغى ..

أصغى للقضبان ..

سوق الحيوانات



كان الظلام قد حل عندما أنزلت الشاحنة (ديف) خارج مخزن البضائع المهجور . كان عليه أن يضيق عينيه ليرى الكتابة على اللافتة التى محاها الطقس :

ميدلى – أوكلاهوما – التعداد 1134

قال سائق الشاحنة إن بوسعه العثور على مواصلة أخرى على الطريق السريع عند نهاية البلدة ، لذا مضى ديف فى مشواره المرهق .

التاسعة مساء يوم صيف حار وقد أغلقت (ميدلى) الليلة . مطعم (فريد) كان مغلقًا وكذلك (جيفى سوبرمارت) .. حتى محطة وقود (فيل) كانت مهجورة . لا سيارات فى الشوارع المظلمة ولا حتى تجمعات الشباب المعتادة.

تساءل عن سبب هذا لكن ليس طويلاً . فى وقت قصير كان قد قطع الشارع الرئيس وخرج للحقول المفتوحة فى نهايته . هنا رأى الأضواء وسمع الموسيقا .

كان هناك مهرجان فى أرض الأسواق أمامه . موسيقا معلبة تخرج من مكبرات الصوت والسيارات تملأ ساحة الانتظار . الشباب فى كل مكان .

لم يكن ديف يتوق لهذا العمل ، لكن كانت معه 8 سنتات فى جيب السروال الجينز وهو لم يذق الزاد منذ الإفطار . هكذا اتجه إلى هذا المهرجان .

كما توقع كان الكرنفال مجرد ضوضاء .. هذه العروض التى تنتقل بالشاحنات بين قرية وأخرى .. الكثير من المغريات للأطفال والريفيين السذج . عجلة الحظ .. وجرب حظك مع البطانية وما إلى ذلك . وقد ظفر لنفسه بشطيرة هامبورجر وكوب قهوة وعرف أنه لا جديد هنا .

كل المدينة (ميدلى – أوكلاهوما – التعداد 1134) كانت هنا الليلة . كل ذى عنق أحمر(*) على بعد أميال جاء للكرنفال .

هنا رأى الخيمة الصغيرة الحمراء .. وهناك لافتة بهتت بسبب ضوء الشمس تعلن عن الأعجوبة :

سافارى غابة هوليوود يقدمه كابتن رايدر

ما هو (سافارى غابة هوليوود) هذا ؟.. لم يعرف . والملصقات البالية لم تقدم له خدمة . كانت هناك صورة رجل يبدو كمكتشف حول عنقه ثعبان .. نفس المهرج الذى يفتح أفواه التماسيح . هناك رسم آخر له وهو يصارع أسدًا . ثم صورة أمام قفص وداخل القفص علامة استفهام ضخمة مشعرة . وتحت الصور كتابة مشعرة كذلك تقول :

(*) الفلاحون .. السبب أن الشمس تكوى أعناقهم فتحمر.

ما هذا ؟.. شاهدوا ملك الغابة حياً بالداخل

لم يعرف ديف ما هذا ولم يهتم . لكنه كان مرهقًا وصوت المكبرات آذى أذنيه . لما رأى الفرجة بين القماش على جانب الخيمة توقف ثم تسلل إلى الداخل .

كانت الخيمة فرنًا من قماش .

شم رائحة الزيت فى الهواء .. الرائحة التى تشمها دومًا فى ليالى الصيف فى أوكلاهوما . رائحة الناس كريهة كذلك ، وهو كان كريه الرائحة كذلك لأنه ليس بوسعه الاستحمام ، لكن ما عذرهم هم ؟

كان الناس يحتشدون يصغون لهراء كابتن رايدر أو هذا ما بدا لديف .. صحيح أن الشخصية التى رآها لم تبد مثل المرسومة فى الإعلانات . كان يكلمهم بذلك الصوت المبحوح الذى ينتقل بلا ميكروفون ، ولم تكن هناك أفعى أو تمساح على مرمى البصر .

بدأت شطيرة الهامبرجر تتلوى فى معدة ديف بسبب الرائحة والحر ، حتى كاد يفرغ معدته . راح يشق طريقه محاولاً الخروج عندما ضرب الرجل على المنصة الألواح بعصاه وهتف :

ـ « الآن يا أصدقائى .. أرجو أن تقتربوا منى .. »

اقترب الزحام أكثر .. ووجد ديف نفسه محاصرًا عند نهاية المنصـة . لم يستطع الخروج فكل الأعناق الحمراء تحيط به منتظرة .

انتظر ديف أيضًا لكنه كف عن الإصغاء . كل هذا الهراء عن أحراش أفريقيا .. ربما صدقه هؤلاء المهرجون ، لكنه لم يصدق حرفًا . فقط تمنى أن يسرع الرجل العجوز وينهى العرض فهو لا يريد سوى الخروج من هنا .

نهض الكابتن رايدر وقال وهو يضرب حفرة مغطاة بالقماش :

ـ « سوف ترون الليلة أخطر وأشرس وحش عرفه العالم .. تم اصطياده بالكثير من المجازفة و..... .. »

هز ديف رأسه .. كان يعرف ما يوجد فى الحفرة . حيوان تافه تم شراؤه من سيرك .. غالبًا هو ضبع كبير ، وعلى الأرجح لن يكون حيًّا بل هو محنط ... صفقة ممتازة فعلاً .

ـ « انظروا !... سيد الغابة ! .. »

تدافع الناس لينظروا إلى داخل الحفرة .



وشهق الجميع .

ديف كذلك نظر مع الباقين ، فرأى ذلك الوحش ينظر له من قاع الحفرة .

كان غوريلا عملاقة كاملة النمو .

كان الوحش جالسًا على كومة من القش وقد قيدت ذراعاه العملاقان بسلاسل من الصلب . كان ينظر للوجوه ويحرك رأسه العملاق بينما أسنانه الصفراء ذات الأنياب بادية ، وقد كشر عنها . فقط فى عينيه المبللتين ترى لمسة من التعبير جعلت ديف الذى لم ير غوريلا من قبل يدرك أن هذا الحيوان مريض .

كان القش مبتلاً ملطخًا ، وكان طعامه المكون من الأوراق الخضراء والبامية يسبح فى بركة من القذارة ، وفوقه سحابة من الذباب . وسط هذا الحر كانت الرائحة الكريهة المنبعثة من الحفرة لا تطاق .

شعر ديف بعضلات بطنه تنقبض . وحاول أن يرجع بتركيزه لكابتن رايدر . كان الرجل الآن يدور حول الحفرة .

ـ « لا تخافوا يا سادة . كما ترون هو مسالم جدًا .. أليس كذلك يا بوبو ؟.. »

حاولت الغوريلا تحاشى العصا لكن السلاسل منعتها ، فاستطاعت العصا أن تضرب كتفيها المشعرتين.

ـ « الآن سيقدم لنا بوبو بعض الرقص .. أليس كذلك ؟.. »

جلس المخلوق على ردفيه بينما العصا تهوى على كتفيه . وبدأ الجسد العملاق يتأرجح فتصايح الناس انبهارًا .

ـ « هلم يا بوبو .. ارقص ! .. »

راح سرب من الذباب يحوم حول الكائن المشعر فى الحر . ورأى ديف الكائن يتأرجح أمامًا وخلفًا . واضطر لأن يغلق عينيه وشق طريقه خارج الزحام.

ـ « هيه .. راقب خطواتك يا فتى .. »

خرج من الخيمة فى الوقت المناسب .

ساعده التخلص مـن الهامبرجر وكـذا ساعده الابتعاد عن الكرنفال . لكنه إذ مشى وسط الحقول بعبق الهواء الزيتى شعر

بالدوار من جديد .. عليه أن يرقد للحظات . ارتمى فى خندق جوار الطريق وأغلق عينيه لثوان ..

ولى الدوار .. لكنه ظل يرى الغوريلا والوجه غير المعبر والعينين المعبرتين جدًّا . عينين مليئتين باليأس والاستسلام وسط أكوام القش والذباب وضربات العصا .

يجب أن يكون هناك قانون .. يجب أن يكون هناك قانون يمنع معاملة الحيوانات هكذا .. ولابد من قانون آخر للحيوان المدعو كابتن رايدر كذلك .

كان الرعد هو ما جعله يتنبه .. ثم شعر بقطرات الماء الدافئة تبلل رأسه ووجهه .

نهض ديف والريح تهب حوله ، وهى تصفر عبر الحقول . لابد أنه نام لساعات لأن كل شىء كان حالك السواد وعندما نظر خلفه رأى أن الكرنفال قد رحل .

للحظة صارت السماء فضية .. ورأى المطر يهطل . يمكنه أن يشعر به .. ثم عاد الرعد . هذا ليس مجرد مطر صيف .. هذه عاصفة . بعد دقيقة سيغرق تمامًا .. ولن يجد سيارة تقله لأنه لن يسافر أحد فى طقس كهذا .

أغلق زمام سترته ورفع الياقة . يجب أن يتحرك . المشى خلال المطر يشبه المشى عكس سد من الماء .

تعالى الرعد وازداد بريق البرق .. فى النهاية صارا شيئًا واحدًا . ثم رأى ضوءًا ساطعًا ..

نظر فرأى المصدر .. هذه شاحنة قادمة من الطريق خلفه . إذ دنت أدرك أنها ليست شاحنة بل سيارة معسكرات من النوع ذى الطابقين ، وقمرة القيادة فى المقدمة .

لم يهتم بنوعها .. المهم أن تتوقف وتلتقطه .. خطا جانبًا وأشار لها .

أبطأت السيارة وتوقفت . انفتحت النافذة وظهر من يقول له :

ـ « تريد مواصلة يا جدع ؟.. »

هز ديف رأسه .

ـ « اركب .. »

فتح الباب ، دخل وأغلق الباب وبدأت السيارة تتحرك ثانية .

قال السائق :

ــ « أغلق النافذة .. المطر يدخل .. »

أغلق الباب وتمنى لو لم يفعل .. الهواء بالداخل كان يعج بالروائح .. ليس العرق فقط بل شيئًا آخر .

أخرج السائق زجاجة جرع منها . وعندما ضرب البرق ألقى ضوءًا على الطريق ووجه السائق .. هنا رآه ديف وعرفه على الفور ..

كان السائق هو كابتن رايدر .

دوى الرعد بينما العربة تنطلق فى الطريق الزلق الذى أغرقه المطر .

ــ « ماذا بك ؟.. هل أنت أصم ؟.. سألتك عن وجهتك .. »

استعاد ديف روعه فقال :

ــ « مدينة أوكلاهوما .. »

ــ « أنت سعيد الحظ .. هذه هى وجهتى .. »

يا للحظ !.. كان ديف يفكر فى العجوز ويتذكر الغوريلا فى الحفرة . لقد كره هذا الوغد بشدة وقد تقلصت معدته لفكرة الركوب معه إلى أوكلاهوما . لكن لن يساعده كذلك أن يبقى هنا وسط عاصفة .. نظرة واحدة للمطر تقنعه بأن يصمد .

انطلقت العربة بينما رايدر يجاهد مع عجلة القيادة . وسأل :

ــ « يا لها من عاصفة !.. هل ترون الكثير من هذه الأشياء هنا ؟.. »

قال ديف :

ــ « لا أعرف .. هذه أول مرة لى هنا .. أنا ذاهب للقاء صديق فى أوكلاهوما . نفكر فى الذهاب لهوليوود .. »

ازداد عمق الصوت الخشن :

ــ « هوليوود ؟.. ذلك المكان اللعين ! .. »

ــ « ألست قادمًا من هناك ؟.. »

نظر له رايدر والتمع البرق ليكشف عن وجهه المقطب .. هنا أدرك ديف أنه ليس مسنًا .. شيء ما رسم هذه التجاعيد على وجهه .

ــ « من قال لك هذا ؟.. »

ــ « كنت فى الكرنفال ورأيت عرضك .. »

قطب رايدر أكثر وراح يرمق الطريق عبر مساحات الزجاج وقال :

ــ « مقرف جدًا .. أليس كذلك ؟.. »

كاد ديف يهز رأسه ثم توقف . قرر أن يغير الموضوع فقال :

ــ « هذه الغوريلا خاصتك .. يبدو أنها مريضة .. »

ــ « بوبو ؟.. إنه بخير .. فقط الطقس يضايقه ، وعندنا نتجه للشمال سيكون أفضل .. »

ــ « هل هو معنا ؟.. »

ــ « وماذا تعتقد ؟.. هل أرسله بالبريد الجوى ؟.. هذه العربة مصممة خصيصًا لذلك .. فوق لى وهو يبقى تحت .. الخلفية مفتوحة لينال بعض الهواء .. ألق نظرة عبر النافذة خلفك .. »

استدار ديف وألقى نظرة عبر النافذة المغطاة بالسلك واستطاع أن يرى محتويات الطابق العلوى الأنيقة . ثم نظر للظلام تحت ..

رأى الخيمة واللافتات والأرض المغطاة بالقش .. وعند النهاية رأى جسد الغوريلا الأسود . الظهر له لأنها تتأمل الطريق .. اهتزت العربة للحظة فاستدار الوحش واستطاع ديف أن يرى عينيه للحظة ..

وفتح الكابتن الزجاجة ليجرع جرعة أخرى وسأل ديف :

ــ « متأكد من أنك لا تريد جرعة ؟.. »

ــ « لا .. »

ارتفعت الزجاجة ثم توقفت وسأل الكابتن ديف :

ــ « لحظة .. أنت لا تتعاطى شيئًا آخر .. أليس كذلك ؟.. »

هز ديف رأسه :

ــ « مخدرات ؟.. لا .. »

ــ « هذا جيد لك .. أمقت هذه القاذورات .. المخدرات والهيبيز .. هوليوود مليئة بالاثنين .. خذ نصيحتى ولا تذهب هناك فلا مكان لصبى .. لم يعد هذا ممكنًا .. »

وتجشأ بصوت عالٍ وأعاد الزجاجة لجيبه ثم فتحها ثانية .

أدرك ديف أن الرجل شرب فوق طاقته . من الأفضل أن تبقيه يتكلم وتبعد تفكيره عن الزجاجة قبل أن يقلب العربة .

قال ديف :

ــ « هل كنت رجل حركات خطرة فى هوليوود ؟.. »

ــ « نعم .. بل من أفضلهم .. لكن كان هذا فى الماضى ، قبل أن تصير جحيمًا .. كنت أفعل كل شىء .. سل أى واحد على سوف يقولون لك إننى كنت هناك مثل (ياكيما كانوت) .. 750 دولارًا فى كل يوم من العمل ، وقد كنت أعمل كثيرًا .. »

ــ « لم أعرف أنهم يدفعون هذه المبالغ .. »

ــ « فلتعرف أننى لم أكن فقط أسقط من أعلى .. عندما استأجرونى كانوا يعرفون أننى موهبة عظيمة .. ليس كل رجال الحركات الخطرة قادرين على التعامل مع الحيوانات .. هل رأيت أفلام طرزان القديمة ؟.. فى نصف هذه الأفلام كنت أنا من يتعامل مع الأسود والنمور.. .. »

ــ « هذا مثير .. »

ــ « مثير فعلاً لو كنت تحب المستشفيات .. لقد صارعت فهدًا أسود ذت مرة كاد ينزع ذراعى كله فى لقطة واحدة .. أنت تنفق على علاجك وتنفق على ثياب الحيوانات المزيفة .. »

ــ « لا أفهم .. »

ــ « هناك لقطات قريبة للصراع مع الحيوان تحتاج إلى أن يظهر وجه البطل .. هنا يأتى دورى .. ألبس مثل الحيوان .. هل تصدق أننى ابتعت بذلة قرد بثلاثة آلاف دولار ؟.. كان عليك أن ترى البيت الفاخر الذى كنت أعيش به ، بأربع غرف نوم وحمام سباحة وملعب تنس .. لقد أعجب ميليسا جدًّا .. »

ومد يده إلى الزجاجة وأفرغها فى جوفه .. هذه المرة أعادها خالية .

فتح النافذة وطوح بالزجاجة إلى المطر . وقال :

ــ « ذهبت .. انتهت !.. لا زجاجة . لا بيت .. لا ميليسا .. »

ــ « ومن هى ؟.. »

هز رايدر إصبعه أمام الزجاج وقال :

ــ « هل حقًّا تريد أن تعرف ؟.. »

نظر ديف فى دهشة محاولاً فهم معنى هذه الإشارة ، إلى أن رفع عينه إلى سقف القمرة . على مرآة الرؤية الخلفية كانت صورة صغيرة .. وجه فتاة شقراء جميلة تبتسم نوع الابتسامة التى تراها فى الكتالوج السنوى للمدرسة الثانوية .

قال رايدر :

ـ « هى ابنة أختى .. ربيتها منذ كانت فى الخامسة بعد وفاة أختى .. كل ما أرادته حققته لها .. أخذتها فى كل الرحلات .. سوف تندهش عندما تدرك السعادة التى تشعر بها عندما تبعث السرور فى قلب طفل . كانت ذكية كذلك وكانت رئيسة الصف فى مدرستها .. أفضل مدرسة خاصة فى المدينة.. كانت لى كأنها ابنتى من لحمى ودمى .. كيف حدث ما حدث ؟.. لن أعرف أبدًا .. »

سأله ديف :

ـ « ماذا حدث ؟.. »

ـ « الهيبيز .. هــؤلاء الهيبيز الأوغــاد أولاد الحرام .. » ـ وأحاطت بعينيه فجأة تجاعيد قبيحة ـ .. « لا تسألنى كيف قابلت هؤلاء الأوغاد .. حسبت أننى حميتها من هؤلاء لكن لابد أنها عرفتهم عن طريق صديقة لها فى المدرسة . كانت فى السادسة

عشرة ولم تكن تعرف ما تتورط فيه . لابد أنه فى هذه السن يبدو لك رجل ملتح يحمل جيتارًا ولديه دراجة نارّية.. يبدو جذابًا جدًا ..

« المهم أنهم وصلوا لها .. ذات ليلة كنت فى موقع تصوير ، فجاء عدد منهم للبيت .. لابد أنهم كانوا تحت تأثير المخدرات تمامًا . لم تكن تتعاطى أى شىء ، وحاول زعيم هؤلاء – واسمه كما أعرف هو (دود) – أن يرغمها على التعاطى .. وضع لها بعض المخدر فى شراب بارد تشربه .. كمية تكفى لقتل ثور .. هذا ما قاله الطبيب الشرعى .. »

ـ « تعنى أنه قتلها ؟.. »

ـ « ليس فورًا وليته فعل .. حسب كلام الرجل لابد أنها عاشت ساعة بعد ذلك . كان هذا كافيًا لهم كى يمرحوا .. كنت قد أعددت البيت بالتذكارات ومنها جلود حيوانات وطبول أفريقية وأقنعة فودوو . أخذ أحد الأوغاد طبلة وراح يدق عليها ، بينما زعيمهم أخذ جلد الأسد وألقاه فوق ميليسا.. يلعبون لعبة أفريقيا .. أنا طرزان .. أنا الصياد العظيم . كانت عاجزة عن الوقوف فجعلوها تمشى على يديها وركبتيها .. ثم إن الوغد العفن انتزع

من على الجدار أحد رماح قبائل الماساى وكاد يدسه بين ضلوعها ..

« هذه هى اللحظة التى وصلت فيها لأرى هذا الوغد يتأهب لطعن ميليسا بالرمح ..

« لم يقف طويلاً.. نظرة واحدة لى جعلته يدرك .. لقد ألقى بالرمح وجرى .. لكن لا أتذكر .. لا أتذكر الدقائق التالية .. قالوا فقط إننى هشمت ترقوة أحدهم ، وأحدهم أصيب بارتجاج مخى عندما ضربته فى الجدار ، والثالث كان شبه ميت عندما انتزع رجال الشرطة قبضتى من حول عنقه . برغم هذا تأخروا كثيرًا فى إنقاذه ..

« تأخروا كذلك بالنسبة لميليسا .. لقد رقدت هناك فى ثياب الأسد .. هذا هو الجزء الذى أذكره .. الجزء الذى أتمنى أن أنساه ...... »

قال ديف :

ـ « أنت قتلت الفتى .. »

هز رايدر رأسه وقال :

ـ « قتلت حيوانًا .. هـــذا ما قلته فى المحكمة .. القاضى أصدر الحكم بخمسة أعوام لكننى خرجت بعد عامين .. »

ونظر لديف متسائلاً :

ـ « هل دخلته من قبل ؟.. »

ـ « لا .. كيف هو ؟.. صعب ؟.. »

ـ « يمكنك أن تقول هذا .. كنت عنيفًا لذا حبسونى انفراديًّا لفترة .. أنت تجلس فى الظـــلام وتغرق فى الأفكار . أنا الذى اعتدت السفر عبر العالم صرت سجينًا فى قفص كحيوان . والحيوانات الذين قتلوا ميليسا أحرار . هناك واحد مات واثنان تعلما درسهما .. لكن الزعيم (دود) حر .. لم يقبضوا عليه ولم يكونوا على استعداد لتضييع وقت فى البحث عنه وقد انتهت المحاكمة .

« .. فكرت كثيرًا فى (دود) هذا .. »

ونظر لديف .. كان ثملاً لكنه يقود جيدًا وما دام يتكلم فلن يسقط نائمًا فوق العجلة .

ـ « كنت أفكر فيما سأفعله لو وجدت (دود) . العثور عليه صعب لكنى قادر عليه . لقد قضيت أعوامًا فى أفريقيا اصطاد الوحوش وبالتالى أنا قادر على اصطياد هذا .. »

سأله ديف :

ـ « إذن أنت مستكشف فعلاً ؟.. »

ـ « كينيا .. أوغندا .. نيجريا .. رأيت ما لم يحلم به هؤلاء الحمقى .. عندما ربط هذا الزعيم جلد الأسد حول ميليسا كان يلعب .. عليه أن يرى ما يستطيع هؤلاء الأطباء السحرة عمله .

« أولاً يختطفون فتاة أو صبيًا .. لنقل فتاة من أجل ميليسا .. يسجنونها فى كهف له سقف منخفض حتى لا تقف وتزحف على أربع . يعطونها عقاقير بجرعات كثيفة تغيبها عن الوعى . عندما تفيق يكونون قد ثبتوا ليديها وقدميها مخالب أسد . ويكونون قد خاطوا جلد أسد لجلدها .

« .. فكر فى الأمر .. هى داخل جلد أسد وفى كهف .. لا تعرف أين هى ولا ما يدور .. لا تأكل سوى لحم نيئ .. وحدها فى الظلام تفوح منها رائحة أسد ولا أحد يكلمها ولا أحد

تكلمه . فى النهاية يأتون ليحطموا بعض العظام فى حلقها فلا يعود بوسعها سوى الزئير .

« هل تعرف ما يحدث يا فتى ؟.. هل تعرف ما يحدث لشخص مثلها ؟.. إنها تجن .. فى النهاية تؤمن بأنها أسد ، وبعد هذا يعلمها الطبيب الساحر كيف تقتل .. .. »

نظر له ديف فى دهشة . فقال الرجل :

ـ « كله مكتوب فى التقارير الحكومية .. لقد تغيرت نيروبى لكن فى الغابة لم يتغير الكثير . هؤلاء السحرة يعرفون عن المخدرات أكثـــر مـــن أى هيبى .. خاصة الحيوان الغبى مثل (دود) .. »

ـ « ماذا حدث بعد خروجك ؟.. هل قبضت عليه ؟.. »

هز رايدر رأسه.

ـ « لكنك قلت إنك رسمت خطة كل شىء .. »

ـ « عندما تكون وحيدًا تخطر لك أفكار مجنونة . بالضبط كأنك فى ذلك الكهف .. لو فكرت فى الأمر لوجدت أن هذا ذكرنى بـــ .. .. »

ـ « بماذا ؟.. »

ـ « لا شىء ..انس الموضوع .. هكذا فعلت أنا .. عندما خرجت من السجن قررت أن أفضل شىء أن أصفح وأنسى .. »

ـ « ولم تحاول قط العثور على (دود) ؟.. »

قطب رايدر وجهه وقال :

ـ « قلت لك .. كانت لدى أشياء يجب أن أفكر فيها . لقد فقدت اسمى وفقدت بيتى والأثاث وكل شىء . كذلك أدمنت الخمر . انتهى بى الأمر إلى مدينة الملاهى المتنقلة ولم يعد لدى شىء آخر يقال .. »

من جديد أضاء البرق السماء وتبعه الرعد .

أدار ديف رأسه ينظر عبر النافذة ذات السلك .

كانت الغوريلا ما زالت هناك ترمق الليل عبر القضبان . ظل ديف يرمقها وعرف أن عليه أن يلقى السؤال . وكلما أطال النظر كلما أدرك أنه لا يملك الخيار .

سأل ديف :

ـ « وماذا عنه ؟.. »

قال رايدر وهو ينظر لاتجاه نظراته :

ـ « من ؟.. تعنى بوبو ؟.. لقد ابتعته من تاجر أعرفه .. »

ـ « لابد أنه باهظ الثمن .. »

ـ « ليسوا رخيصى الثمن فلم يبق منهم كثير .. »

تردد ديف وقال :

ـ « هنـاك أقـل مـن مائة . قرأت هذا فى جريدة الأحد .. مقـال عـن المحميات الطبيعية . الغوريلات محميات حكومية ولا تباع .. »

ـ « كنت سعيد الحظ .. »

قالها رايدر وانحنى للأمام ، فغمرت أبخرة الكحول ديف .. وأردف :

ـ « لدى صلات .. هل تفهم ؟.. »

حاول ديف منع الكلمات لكنه لم يقدر ، فقال :

ـ « حسن .. ما لم أفهمه هو هذا الكرنفال القذر .. ما دامت الغوريلات نادرة هكذا فقد كان عليك أن تنضم لعروض أكبر .. »

ـ « هذا شأنى .. »

شهق ديف بقوة وقال :

ـ « ما دمت مفلسًا هكذا فمن أين جئت بالمال لشراء حيوان باهظ الثمن كهذا ؟.. »

ـ « كما قلت لك .. بعت البيت وكل ما أملك .. »

ـ « وكذا بذلة القرد ؟؟؟.. »

طارت القبضة بقوة حتى أن ديف لم يرها . لكنها ضربت جبهته فألقته عبر المقعد ليصطدم بالباب الجانبى غير المغلق.

حاول أن يتمسك بأى شىء لكنه تأخر . كان يسقط .. سقط على الأرض على ظهره فلم ينقذه سوى الوحل .

من جديد أضيئت السماء بالبرق وابتعدت العربة . واختفت فى نفق الليل المظلم . لكن ديف استطاع أن يرى الغوريلا تنظر له من وراء القضبان.

الغوريلا بعينيها الغائبتين عن الوعى بفعل المخدرات ، ووجهها عديم التعبير الشبيه بالقناع .. وذراعيها المرفوعتين اللتين تكشفان عن الخياطة السوداء تحت الإبط .

الحبكة هى الشىء المهم



عندما اقتحموا الشقة ، وجدوها أمام التلفزيون تشاهد فيلمًا قديمًا.

لم تفهم بيجى سبب الجلبة التى أثاروها بسبب هذا . كانت تحب الأفلام القديمة ، والأفلام التى تعرض فى ساعة متأخرة من الليل . هذه كانت الأفضل لأنها غالبًا ما تكون أفلام رعب . حاولت أن تشرح لهم هذا ، لكنهم ظلوا يجوبون الشقة ويرمقون الغبــار على الأثاث والملاءات المتسخة . قال أحدهم أن هناك طحالب خضراء على الأطباق فى حوض المطبخ .. نعم هى لم تغسلها منذ زمن بعيد لكنها كذلك لم تهتم بأن تأكل منذ زمن .

ليس السبب أنها لا تملك مالاً.. لقد أخبرتهم بحساب المصرف . لكن التسوق والطبخ صارا متعبين جدًا .. كما أنها صارت تمقت الخروج ورؤية الناس .. لو أرادت أن تبقى هنا وتشاهد الأفلام فهذا شأنها .. أليس كذلك ؟

نظروا لبعضهم وأجروا بعض الاتصالات . ثم جاءت سيارة الإسعاف فساعدوها على ارتداء الثياب .. ساعدوها ؟.. الواقع أنهم أرغموها .. وعندما فهمت إلى أين يأخذونها كان الوقت قد فات .

فى البداية كانوا شديدى اللطف فى المستشفى لكنهم ظلوا يسألونها أسئلة بلهاء . قالت إنه لا أقارب لها فلم يصدقوا ، وعندما تأكدوا من ذلك ساءت الأمور أكثر . عندما غضبت انتهى الأمر بحقنة منومة فى ذراعها .

تكررت الحقن المنومة بعــد هــذا .. ومن وقت لآخر كان د. (كرين) يأتى . كان من الرؤساء وكانت تحبه ، لكنها بدأت تمقته عندما بدأ يتطفل .

حاولت أن تشرح له أنها كانت أميل للوحدة طيلة حياتها ، ولم تكن بحاجة للعمل مع ما تملك من مال . اهتم بأنها تذهب للسينما مرة كل أسبوع وأنها تحب أفلام الرعب بالذات . أحبت المشاهدة فى البيت . ففى البيت يمكنك أن تغلق على نفسك .. ما دام التلفزيون يعمل فهى لا تشعر بوحدة . كان بوسعها أن تشاهد الأفلام طيلة الليل وكان هذا مما يفيد أرقها .

فى الأفلام مهما ساءت الأمــور أمام البطلة فهى تنجــو فى النهاية .. وهذا أفضل مما يحدث فى الحياة .. أليس كذلك ؟

لم ير د . كرين هذا . ولم يسمح بجهاز تلفزيون فى غرفتها . راح يكلم بيجى عن أهمية مواجهة الواقع وأخطار التراجع إلى عالم خيالى حيث تتماهى مع البطلات المذعورات .

عندما بدأ يتكلم ذلك الهراء عن (اضطراب عصبى) وكلمها عن خططه لمساعدتها ، عرفت أن عليها أن تهرب . لم تكن لديها فرصة . وقبل أن تفهم كانوا قد رتبوا جراحة استئصال فص المخ لها .

كانت تعرف ما هى جراحة استئصال فص المخ وكانت تخشاها .. لأن معناها اللعب بالمخ . تذكرت طبيبًا مجنونًا اسمه (ليونيل أتويل) يقول إن العبث بأسرار المخ قد يغير الواقع : « .. هناك أشياء لم يفترض بنا أن نعرفها .. » . كان هذا بالطبع فى فيلم سينمائى . ولم يكن د. كرين مجنونًا .. هى المجنونة .

لقد بدا لها مجنونًا .. حاولت أن تتملص عندما قيدوها فجاء لها .. تتذكر عينيه والإبرة الطويلة .. الإبرة الطويلة تخترق مخها لتغير الواقع.

المضحك فى الأمر أنها عندما صحت شعرت أنها بخير :

ـ « أنا إنسانة مختلفة يا دكتور .. »

وكان هذا صحيحًا .. لقد صارت هادئة تمامًا . كانت تريد أن تأكل ولم تعد مصابة بأرق وصار بوسعها أن تبدل ثيابها بنفسها ،

بل وتمزح . الأهم أنها لم تعد تهتم بمشاهدة التلفزيون . لم تعد تذكر تلك الأفلام القديمة التى تضايقها ..

فى نهاية الأسبوع الثانى تمنت أن يسمحوا لها بالعودة لدارها . تبادلت الكلام معه فأطرى تحسنها وسألها عن خطط المستقبل . اقترح عليها أن تقوم برحلة فوعدته بذلك .

لم تفكر حتى عادت لشقتها . كان المكان غاية فى الفوضى . وعندما دخلت أدركت أنه ليس بوسعها تحمل هذا المكان . بدا المكان كمنظر فى فيلم .. الثياب فى كل مكان والأطباق مكومة فى الحوض .. هناك قررت أن تأخذ إجازة . ربما حول العالم.. لمَ لا ؟.. عندها المال ولسوف يكون جميلاً أن ترى فعلاً تلك الأماكن التى لم ترها إلا فى السينما.

هكذا ذهبت لوكالة سياحة وسرعان ما كانت تنطلق إلى لندن .

من الغريب أنها لم تفكر فيها بهذا الشكل من قبل . ولاحظت أنها تقرر شيئًا أو تذهب لمكان ما ، وفجأة تجد نفسها فى موقع آخر .. كما يحدث فى السينما عندما يقطعون من مشهد لآخر . عندما فكرت فى هذا أصابها القلق

ربما كانت تغيب عن رشدها . لا تنس أن هناك من عبث بمخها . لكن لم يكن هناك شيء مخيف فعلاً . بل كانت تبدو لها مفيدة كما فى السينما ، فأنت لا تريد أن تضيع وقتك فى مراقبة البطلة تنظف أسنانها أو تحزم حقائبها . الحبكة هى الشيء المهم .

كان كل شيء حقيقيًا الآن . لا مزيد من اضطراب الحقائق . قبل الجراحة مرت بها أوقات لم تكن على يقين من شيء . أحيانًا كان ما تراه على الشاشة أكثر واقعية مما تراه فى الحياة.

لقد ذهب هذا كله .. مهما كـان ما فعلته الإبرة فقد اخترقت الضباب .. صار كل شيء واضحًا وحادًا ومحددًا .. ازدادت ثقتها بنفسها . وصارت تلبس جيدًا وتمشط شعرها جيـدًا .. وكان الكومبارس يمشـون فى الشـوارع فلا يضايقونهـا . وكان الكومبارس الناطقون يقولون سطورهم بوضوح ثم يغادرون المشهد . لم يكونوا ممثلين فى الواقع بل هم خدم وموظفون فى السياحة .. لكنهـم كانوا يبدون كأنهم يمرون بإظلام وظهور تدريجيين . كلهم يضحكون كما فى أفلام الرعب الجيدة حيث تبدو الحياة رائعة فى بداية الفيلم .

بدأت الأمور تسوء فى باريس .

كان المرشد السياحى الذى يبدو مثل (إدواردو شيانللى)(*) يريها دار الأوبرا . تحدث عن أقبية الدفن .. هذا دق جرسًا فى ذهنها .

تذكرت إريك .. كان هذا اسمه .. إريك شبح الأوبرا . عاش فى سراديب الموتى تحت دار الأوبرا . كان مجرد شخصية خيالية لكنها تذكرته وذكرت اسمه للمرشد على سبيل الدعابة.

هنا شحب وجه المرشد وبدأ يرتجف . ثم هرب وتركها حيث هى .

عرفت أن هناك شيئًا خطأ . ثم بدا أن المشهد يذوب وهو شيء اعتادته .. المشهد التالى كانت واقفة أمام أمين المكتبة تسأله عن كتب (جاستون ليرو) .

هذا ما أثار رعبها .. تعرف أن (جاستون ليرو) هو مؤلف (شبح الأوبرا) . لكن أمين المكتبة يقول لها إنه لا يوجد مؤلف بهذا الاسم . فتحت فاها لتعترض لكن المشهد بدأ يذوب .

(*) ممثل إيطالى ومطرب أوبرا اشتهر فى الأفلام الأمريكية بأدوار الشر .

فى ألمانيا استأجرت سيارة وكانت تستمتع بالمناظر الطبيعية ، عندما رأت تلك الطاحونة المحترقة وبقايا القلعة . كانت تعرف أين هى لكنها لم تصدق .. فقط عندما ترجلت ودنت أكثر رأت اللافتة على الصخر تقول (فرانكنشتاين).

كان هناك صوت خافت خلف الباب .. صوت خطوات مكتومة .. صرخت وجرت .

كانت تعرف إلى أين تجرى .. ربما تبحث عن الأمان خلف (الستار الحديدى) . لكن كانت هناك قلعة أخرى .. سمعت عواء ذئب عن بعد ورأت وطواطًا يحلق .

وفى مكتبة إنجليزية فى (براغ) بحثت فى الكتب الأدبية ، لكنها لم تجد قط اسمى (مارى شيلى) ولا (برام ستوكر) .

بالطبع لا .. فى عالم الأفلام لا يوجد مؤلفون .. الشخصيات حقيقية .

تذكرت كيف تغير (لارى تالبوت)(*) أمام عينيها ليصير ذئبًا عاويًا . تذكرت صوت الكونت دراكيولا يقول :

ـ « أنا لا أشرب ...... الخمر .. »

(*) بطل فيلم (الرجل الذئب) بطولة لون تشانى الابن .

تمنت أن تبتعد عن بيوت الفلاحين المتطيرين ، الذين يضعون نبات (وولفبين) خارج نوافذهم ليلاً .

أرادت أن تجد بلدًا عاقلاً يتكلم الإنجليزية . ستذهب للندن لتبحث عن طبيب .

ثم تذكرت ما ينتظر فى لندن .. مذعوب آخر .. ومستر هايد .. وجاك السفاح ..

عبر غيبوبة طارت لتجد نفسها فى باريس .. وجدت اسم طبيـب نفسانى فرتبت موعـدًا ، وقررت أن تواجه مشكلتها بشجاعة .

لكنها لم تستعد للقـاء الرجـل الأصلع ذى اللكنة الشريرة والعينين الجاحظتين . عرفت على الفور أنه د. جوجول فى قصة (الحب المجنون) . كانت تعرف أن (الحب المجنون) فيلم تم إخراجه فى العام الذى ولدت فيه لكن هذا بلد مختلف ، والغانية قد ماتت .

الغانية ماتت وبيجى حية ... « أنا خائفة وغريبة فى عالم لم أصنعه .. »

أم أنها هى من صنع هذا العالم ؟.. لم تكن واثقة . ما تعرفه هو أن عليها أن تهرب .

أين ؟.. ربما مصر ؟.. لا .. سوف يكون هناك .. المومياء المجعدة المخيفــة .. وماذا عــن الشرق البعيد ؟.. وماذا عن فومانشو ؟

تعود لأمريكا ؟ البيت هو مكانها ، لكن سوف تنتظرها سكين هناك ، عندما تنفتح ستائر الحمام ويهوى عليها ذلك المجنون فى (سايكو) ..

بشكل ما تذكرت مأوى كان فى فيلم آخر . البحار الجنوبية .. دوروثى لامـــور وجـــون هـــول(*) والأهـــالى الودودين فى جنة استوائية .. كان هناك مهرب .

استقلت سفينة فى مرسيليا وكـــان طاقمها صغيرًا . أمضت أيامها الأولى فى باطـــن الســـفينة متكومة فى مضجعها . من الغريب أن الأمور بدأت تتخذ منحى ما كان قبل الجراحة ..

قبل أن تخترق الإبرة مخها لتغير العالم ..

(*) ممثلان ظهرا فى فيلم (الإعصار) ـــ 1937

كان عليهـــا أن تصـــغى لأتويل وزوكو وراثبـــون وسلون وجـــون كارادان .. هـــم مجانين نوعًا لكنهم أطبـــاء بارعون وعلماء . كانـــت نيتهم حســـنة .. « هناك أمور لا يجدر بنا أن نعرفها .. »

عندما وصلوا إلى المناطق الاستوائية ، شعرت بتحسن . استردت شهيتها وخرجت للسطح .. وراحت تمزح مع الطاهى الصينى . كان الطاقم يعاملها باحترام عظيم .

عرفت أنها فعلت الشىء الصحيح .. هذا هو الهرب . رائحة الليالى الاستوائية الدافئة العطرة خدرتها . هذه ستكون حياتها من الآن فصاعدًا .. سوف تبحر فى بحار بلا اسم بعيدة عن لعب دور بطلة أفلام الرعب .

كان من الصعب أن تصدق أنها ستخاف لهذا الحد . لا يوجد أشباح ولا مذعوبون فى هذا العالم . لن تحتاج لطبيب فهى تواجه الواقع وهو جميل . لا أفلام هنا لا تلفزيون .. كل

مخاوفها جزء من كابوس منس ، ذات ليلة بعد العشاء ، عادت لقمرتها وثمة شيء يضايقها .

لقد ظهر القبطان فى مرة نادرة من مرات ظهوره على مائدة العشاء ، وظل ينظر لها طيلة الوجبــة . شيء ما فى نظرته جعلها ترتبك . عيناه الخنزيريتان ذكرتاها بشخص ما .. نوح بيرى ؟.. ستانلى فيلدز ؟

راحــت تتذكر .. وفى الوقت نفســه كانت تنعس .. تنعس بسرعة .. هل هناك من دس شيئًا فى طعامها ؟

حاولت أن تجلس ..

عبر النافذة رأت لمحة من الأرض .. ثم بدأ كل شيء يدور .

لقد تأخرت جدًا ..

عندما أفاقت كانت على الجزيرة .. وكان المتوحشون يجرونها عبر البوابة وهم يصرخون ويلوحون بالرماح .

ربطوها .. هنــا سمعت الغنــاء .. نظرت لأعلى فرأت الظل العملاق . عرفت أين هى وما هذا وصرخت .

حتى برغم الصراخ كانت تسمع الأهالى يرددون كلمة واحــدة مرارًا وتكرارًا .. بدت لها الكلمة كأنها (كونج).

روبرت بلوخ

روايات عالمية للجيب

■ صدر من هذه السلسلة ■

1 ــ فلاش جوردن .
2 ــ كنوز الملك سليمان .
3 ــ دكتور نو .
4 ــ حرب النجوم .
5 ــ الفك المفترس .
6 ــ فوق مستوى الشبهات .
7 ــ رحلة إلى مركز الأرض .
8 ــ الغيبوبة .
9 ــ الشيطانة .
10 ــ لقاءات من النوع الثالث .
11 ــ وجاء العنكبوت .
12 ــ قبضة الشيطان الذهبية .
13 ــ نداء الأعماق .
14 ــ القتل دون مقدم أتعاب .
15 ــ سلالة أندروميدا .
16 ــ الغرفة الحمراء .
17 ــ وادى العناكب .
18 ــ صورة دوريان جراى .
19 ــ العالم المفقود .
20 ــ صانع الأمطار .
21 ــ ألف ليلة وليلة الجديدة .
22 ــ سباق الموت .
23 ــ كونغو ..!
24 ــ كلب آل باسكرفيل .
25 ــ مدينة مثل أليس .
26 ــ الحزاز .
27 ــ مطار (77) .
28 ــ النطاق المسموم .
29 ــ الجزيرة .
30 ــ لا تنظرى الآن .
31 ــ جزيرة الدكتور مورو .
32 ــ عرين الدودة البيضاء .
33 ــ رحيق الملكات .
34 ــ وصية الثلاثين ألف دولار .
35 ــ العسل .
36 ــ ما وراء العالم .
37 ــ خلف جدار النوم .
38 ــ الغريم الخفى .
39 ــ قضية الذئب .
40 ــ الرجل الذى كان الخميس .
41 ــ الجزيرة الغامضة .
42 ــ 451 فهرنهيت .
43 ــ دورة المذءوب .
44 ــ حكايات أوسكار وايلد .
45 ــ قلب الليل .
46 ــ كتب الدم .
47 ــ أوديسا الفضاء .
48 ــ دكتور جيكل ومستر هايد .
49 ــ حكايات مارك توين .
50 ــ 1984 جـ 1 .
51 ــ 1984 جـ 2 .
52 ــ موبى ديك .
53 ــ غريب فى أرض غريبة جـ1 .
54 ــ غريب فى أرض غريبة جـ2 .
55 ــ حكايات أندرسن .
56 ــ الستار .
57 ــ قصص من أزيموف .
58 ــ شرطى المكتبة .
59 ــ أسطورة سليبى هولو .
60 ــ كارميلا .
61 ــ محامى الشوارع .
62 ــ قاعة المرايا .
63 ــ جوهرة النجوم السبعة .
64 ــ مغامرات آرسين لوبين .
65 ــ أليس فى بلاد العجائب .
66 ــ قلعة الأسرار .
67 ــ عبودية الإنسان .
68 ــ نداء كتولو .
69 ــ لورد جيم .
70 ــ [illegible]
71 ــ الرجل الذى يجمع كتب (بو) .
72 ــ قطار الجحيم .

رقم الإيداع : 23770
977 — 378 — 246 — 8

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

72



قطار الجحيم

هذا هو الجزء الثانى من مجموعة قصص قصيرة متفرقة لكاتب الرعب الأمريكى المعاصر وتلميذ لافكرافت (روبرت بلوخ).

بالتأكيد سوف تروق لك هذه القصص بأفكارها الطريفة غير المطروقة وبراعة السرد، مع قدر لا بأس به من التوجس.

والغريب أنه يمزج بين الخيال العلمى والرعب مرارًا. روبرت بلوخ كاتب رعب مهم آخر نقابله فى هذه السلسلة، وعلى الأرجح لن تنتهى علاقتك به بعد ذلك أبدًا ...

العدد القادم

الرجل الخفى

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الامريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



